جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

العُدُول اللُّغَوِي فِي شِعْر حَيدَر مَحمُود

The linguistic deviation in the poetry of Haider Mahmoud

رسالة ماجستير قدمت استكمالا لدرجة الماجستير في اللغة والنحو

إعداد الطالبة

شفاء "محمد علي" أحمد الربابعة

إشراف: **أ.د يوسف أبو العدوس**

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العدول اللغوي في شعر حيدر محمود

إعداد

شفاء محمد علي أحمد الربابعة

بكالوريوس لغة عربية وآدابها، جامعة اليرموك، 2014م

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو في
جامعة اليرموك- إربد، الأردن

وافق عليها

الأستاذ الدكتور يوسف مسلم أبو العدوس..... مشرفا ورئيسًا

الدكتور أحمد محمد أبو دلو..... عضوًا

الدكتور علاء الدين أحمد غرايبة..... عضوًا

تاريخ المناقشة

9/ 5 / 2018م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإِهْدَاء

إِلَى مَنْ تَكَبَّدَ العَنَاء

وَتَحَمَّلَ العَيَاء

وَتَحَدَّى الضَّرَّاء

... وَالِدِي

إِلَى مَنْ سَهرَتْ اللَّيَالِي

وَحَارَبَتْ ظَلَمَتْي

وَأَنَارَتْ دَرْبِي

... وَالِدَتي

إِلَى مَنْ كَانُوا لِي عَونًا

وَكَانُوا لِي أَمَلًا

وَكَانُوا لِي سَنَدًا

... إِخْوَتي

إِلَى مَنْ رَافَقتَنِي فِي خُطْوَتِي

وَأَبْحَرْنَ فِي سَفِينَتِي

وَأَنْهَيْنَ مَعِي طَرِيقِي

... أَخَوَاتِي

وَإِلَى كُلِّ مُحِبٍّ... وَصَدِيقٍ... وَطَالِبِ عِلْمٍ...

إِلَى مَقَامَاتِهِمْ السَّامِقَة جَمِيعًا أُهْدِي هَذَا العَمَل...

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شُكْر وَتَقْدِير

قَالَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ".

رَوَاه أَبُو دَاوُد

فَلِكُلِّ نَجَاح شُكْر وَتَقْدِير، وَأَخُصُّ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ الأُسْتَاذ المُشْرِف الدّكْتُور يوسِف أَبُو العدوس الَّذِي مَدَّ لِي يَدَ العَوْن وَالمُسَاعَدَة، وَبِمَا قَدَّمَهُ مِنْ نُصْح وَإِرْشَاد وَتَوْجِيه، فَشُكْرِي لَنْ يُوفِيه، وَمَعْرُوفُهُ سَيَدُوم، وَجَمِيلُهُ مَحْفُوظ، فَجَزَاهُ الله عَنِّي خَير الجَزَاء.

كَمَا أَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ إِلَى الدّكْتُور مُوسَى ربابعة الَّذِي لَمْ يَبْخلْ عَلَي فِي تَقْدِيم المَعْلُومَات وَالأَفْكَار فَلَهُ مِنِّي كُلّ الشُّكْر.

وَأَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ إِلَى أَعْضَاء الهَيْئَة التّدريسِيَّة فِي قِسم اللُّغَة العَرَبِيَّة وَآدَابها كَافة الَّذِينَ لَمْ يَتَوَانَوْا عَنْ مُسَاعَدَتِي، وَأَعْضَاء لَجْنَة المُنَاقَشَة عَلَى تَفَضُّلِهم بِقُبُول مُنَاقَشَة هَذِه الرِّسَالَة وَإِبْدَاء آرَائهم وَمُلَاحَظَاتهم القَيِّمَة، وَإِلَى أَصْحَاب المَكْتَبَة الجَامِعِيَّة وَمَنْ كَانَ عَوْنًا وَمُسَاعَدَةً لِي، فَلَهم مِنِّي جَمِيعًا جَزِيل الشُّكْر وَالتَّقْدِير.

شِفَاء الرَبابعة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء.....أ

الشكر والتقدير.....ب

فهرس المحتويات..... ج

الملخص بالعربية .....هـ

المقدمة ١

التمهيد ٦

العدول لغة ٦

العدول اصطلاحا ٧

إشكالية تعدد المصطلح ١٥

العدول عند العرب القدامى ٢٣

العدول عند المحدثين المعاصرين ٢٨

معيار العدول ٣٠

أنواع العدول.....٣٤

الفصل الأول: التقديم والتأخير

مدخل.....٤٤

المبحث الأول: الجملة الاسمية ٥١

المبحث الثاني: الجملة الفعلية ٦٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني: الحذف

مدخل..... ٧٤
المبحث الأول: حذف الحرف ٨١
المبحث الثاني: حذف الكلمة ٩٥
المبحث الثالث: حذف عبارة أو جملة ١٠٧
الخاتمة ١١٣
قائمة المصادر والمراجع ١١٥
الملخص بالإنجليزية ١٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المُلخّص

الربابعة، شفاء محمد، العُدُول اللّغَوِي فِي شِعر حيدر محمود، رسالة ماجستير في جامعة اليرموك، ٢٠١٨ م، إشراف أ. د. يوسف أبو العدوس.

تَسْعَى هذه الدّراسة إلى دِرَاسة بَعْض الظَّوَاهر اللّغَوِيَّة الأُسْلُوبِيَّة التي تَشِيع فِي شِعْر حيدر محمود، لِلكَشْف عَنْ أهمّ القِيَم الفَنية وَالجَمَالية وَالتَّعبِيرِيّة التي تَتَجَلّى فِي شعره، مِن خِلال ظَاهِرَة التَّقْدِيم والتّأخير، والحَذْف.

وَعِند التَّأَمُّل فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود نَجد أَنَّهُ مِنْ الشُّعَرَاء المُحَدثِينَ الَّذِينَ كَانُوا لَهُمْ الدَّوْر فِي حَرَكَة التَّجْدِيد الشِّعْرِيّ، وَالَّذِينَ اِمْتَلَكُوا أَدَوَات الشّعْر الجَيِّدَة وَاِسْتَخْدَمُوهَا اِسْتِخْدَامًا فَائِقًا غَيْر مَأْلُوف لِلتَّخَلُّص مِنْ شَكْل القَصِيدَة المَعْرُوفَة فِي الشّعْر العَرَبِيّ القَدِيم؛ لِذَلِكَ فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ الإِشَارَة إِلَيه وَإِلَى عَبْقَرِيَّتِهِ وَإِبْدَاعِهِ الفَنِّيّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المُقدمة

الحَمْدُ لله الَّذِي شَرَّف العَرَبِيَّة بِنُزُول القُرْآن الكَرِيم بِها، وَعَظّمها بِالقَوْلِ الحَكِيمِ، وَفَضّلها عَلَى سَائِر اللُّغَات أَجْمَعِين، فاللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ لُغَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وتُعدُّ اللُّغَة الأسمى وَالأَشْرَف، وَتَظْهَرُ قِيمَتها مِنْ خِلال قُدْرَتها عَلَى التَّجَدُّد وَالبَقَاء وَالتَّطَوُّر وَالاِستمرَار، بِالإِضَافَة إِلَى أَنَّهَا تَقف حَاجِزًا مَنِيعًا أَمَام هَجَمَات ذَوِي الأَغْرَاضِ الدَّنِيئَة، وَهُمْ يُحَاوِلُونَ إِخْفَاء مَعَالِمها وَمَظَاهِرها، وَلَكِنْ مُحَاوَلَتهم كَافة بَاءَتْ بِالفَشَل، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا لُغَةُ القُرْآنِ الكَرِيم التي تكفل الله سُبْحَانه وَتَعَالى بِحِفْظه، وَحِفْظ اللّغَة العَرَبِيَّة بِالصَّوْن.

يُعدّ عِلم النَّحْو أسمى العُلُوم العَرَبِيَّة قَدْرًا، وَأَعْلَاهَا مَكَانة، وَأَكْثَرهَا أَهَمِّيَّة، ويُعدُّ أَسَاس اللُّغَة العَرَبِيَّة، وَمُقَوّمًا رَئِيسِيًّا مِنْ مُقَوِّمَاتِهَا، فَهُوَ قَانُون اللُّغَة وَمِقْيَاسها وَعَلَيه بُنيت أَغْلَب قَوَاعِد العَرَبِيَّة الذي يَتَبَيَّن فيه جُهُود العُلَماء مِنْ القَدِيم وَالحَدِيث، نَظرًا لِأَهَمِّيَّته المُتَدَاركة فِي كَثِير مِنْ مَسَائِل العَرَبِيَّة وَقضَايَاها، الذين أَخَذُوا عَلَى عَاتِقِهِمْ جَمع اللُّغَة وَقَوَاعِدها مُعْتَمَدِينَ فِي ذَلِك عَلَى المَصَادِر الرَّئِيسِيَّة هِيَ القُرْآن الكَرِيم وَالحَدِيث الشَّرِيف وَكَلام العَرَب.

وَالمُتَأَمِّل فِي هَذِه المَصَادِر الثَّلَاثَة يَجِدُ بَعْضاً مِنْ أَلْفَاظها مَا يُخَالِف القَاعِدَة الأَصْلِيَّة وَيَنْعَدِل التَّرْكِيب اللُّغَوِي عَمَّا هُوَ مُتَفق عَليه قَوَاعِدِيّاً، حَيْث إِنَّهَا لَا تَسْتَجِيب لِلقَاعِدَة النَّحْوِيَّة، وَقَدْ أُطلِق عَلَى مَا خَالَفَ القَاعِدَة بِمُسَمَّيَات وَمُصْطَلَحَات عِدَّة هِيَ العُدُول والانزِيَاح وَالاِنْحِرَاف وَغَيْرها مِنْ المُصْطَلَحَات، وَلَكِنْ الَّذِي آثَرْنَاهُ فِي بَحْثِنَا هُوَ لَفْظَة العُدُول كَوْنها أَنْسَب وَأدق فِي التَّعْبِير عَنْ المَعْنى.

وتعدّ ظَاهِرَة العُدُول مِنْ الظَّوَاهِر الأُسْلُوبِيَّة المُهِمَّة فِي دِرَاسَة اللُّغَة الأَدَبِيَّة بِوجه عَام وَدِرَاسَة اللُّغَة الشِّعْرِيَّة بِوجه خَاص فِي القَدِيم وَالحَدِيث، إِذْ تُدرس بَعْض المُفْرَدَات الَّتي تُخَالِفُ القَاعِدَة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النَّحْوِيَّة الَّتِي يَظُنّ بَعْضهم بِأَنَّهَا مُفْرَدَات خَاطِئَة غَيْر صَحِيحَة، فِي حِين أَنَّ الوَاقِع لِهَذِه المُفْرَدَات، أي اسْتِعْمالها الإِبْدَاعِي، صَحِيح لَكن فِي مَكَانها الأَدَبِي، بَيْنَمَا فِي المَكَان النَّحْوِي الشَّائِع وَالمَأْلُوف تُعدُّ مُخَالَفَة لِلقَاعِدَة.

وَاِهْتَمّ عُلمَاءُ العَرَبِية قَدِيمًا وَحديثاً بِظَاهِرَةِ العُدُولِ اللُّغَوِيِّ، فَجَمِيع كُتب اللُّغَة فِيهَا كَلَاميَطولأو يقصر عَنْ العُدُول اللُّغَوِيّ، لِما لَهُ مِنْ أَثر فِي تَرْكِيب الجُمْلَة العَرَبِيَّة فِي النَّصّ، وَالاِرْتِقَاء بِالقَصِيدَة الشِّعْرِيَّة جَمَالِيًّا، وَإِحْدَاث قَدْر كَبِير مِنْ التَّنَوُّع الدَّلَالِيّ، وَمِنْ كُتب النَّحْو وَاللُّغَة الّتي اهتمَّتْ بِهَذِه المسألة كِتَاب سِيبَوَيْه، وَالخَصَائِص لابن جني، وَالمُقْتَضَب لِلمبرد، وَشَرح المَفصل لابن يَعِيش، وَلِسَان العَرَب لابن مَنْظُور، وَكِتاب العِين للفراهيدي، وَمُغني اللَّبِيب لابن هِشَام، وَالمُنجد فِي اللُّغَة لِلويس معلوف، وَاللُّغَة العَرَبِيَّة مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا لِتَمام حَسَّان.وَمِنْ كُتب النَّقْد وَالبَلَاغَة وَالأُسْلُوب دَلَائل الإعجاز لِعَبْد القَاهِر الجرجاني، وَمِفْتَاح العُلُوم للسكاكي، وَالعُمْدَة لابن رَشِيق القيرواني، وَالبَلَاغَة وَالأُسْلُوبِيَّة لِمحمد عَبْد المُطَّلِب، وَبَلَاغَة الخِطاب وَعِلم النَّصّ لِصَلَاح فَضل، وَالأُسْلُوبِيَّة الرُّؤْيَة وَالتَّطْبِيق لِيوسِف أبو العدوس، وَالأُسْلُوب دِرَاسَة لُغَوِيَّة إِحْصَائِيَّة لِسعد مصلوح، وَالأُسْلُوبِيَّة لِفَتْحِ الله سليمَان، وَالأُسْلُوبِيَّة وَالأُسْلُوب لِعَبْد السَلَام المسدي، وَالأُسْلُوبِيَّة مَفَاهِيمها وَتَجَلِّيَاتها لِمُوسى ربابعة.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَنْمَاط العُدُول اللُّغَوِي فِي الجُمْلَة الاسمِيَّة وَالفِعْلِيَّة مِنْ تَقْدِيم وَتَأْخِير وَحَذْف وَالتِفَات وتكرار وَفَصل وَوَصل واستِفْهَام وَتَحوّل أُسْلُوبِي واعتِرَاض وَغَيْرها، الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَكْتَشِفَها ضِمْن النّسق النَّحْوِي الذي يُؤَدِّيه فِيهَا العُدُول، ثمّ يُبين وَظِيفَتها فِي تَأْدِيَة المَعْنَى وَالغَرَض الذي يُرِيدُ الشَّاعِر إِيصَاله إِلَى القَارِئ فِي التَّعْبِير عَنْ حَالَته. وَعَلَى الرغم مِنْ وُجُود بَعْض مُصْطَلَحَات المَفْهُوم حَدِيث النَّشْأة كالانزياح وَالاِنْحِرَاف وَالمُخَالَفَة، إِلَّا أَنَّ الظَّاهِرَة قَدِيمَة الوُجُود لَيْسَتْ جَدِيدَة، بَلْ تَعود جُذُورها إلى القدم، تَحْتَ مَا يُسمى العُدُول.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَفِي دِرَاسَتنا لِهَذه الظَّاهِرَة وَقَعَ اِخْتِيَارنا عَلَى أَحد الشُّعَرَاء الأُرْدُنِيينَ، الَّذِينَ عَبَّرُوا عَنْ عَوَاطِفِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ وَوَاقِعِهِمْ المَعِيشِي، وَهُوَ الشَّاعِر حَيْدَر محمود، أَحد شُعَرَاء الحَدَاثَة الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ الدَّوْرفِي حَرَكَة التَّجْدِيد الشِّعْرِي الحداثي، فَلَقَدْ كَانَتْ ظَاهِرَة العُدُول بَارِزَة فِي بِنَاء تَرَاكِيبه الشِّعْرِيَّة، وَلِآقَته لِلنَّظر، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ الوُقُوف عَلَيْهَا وَدِرَاسَتها وَتَحْلِيلها، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ بَيْن التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَالحَذْف سَوَاءأَكَانَ فِي الكَلِمة أو الجُمْلَة الإِسْمِيَّة أو الفِعْلِيَّة أَوْ عَلَى مُسْتَوَى النَّصّ.

وَتَهْدُف هذه الدِّرَاسَة إِلَى الكَشْف عَنْ السِّمَات الشِّعْرِيَّة عِنْدَ الشَّاعِر، وَمَهَارَاته فِي استِخْدَام اللُّغَة، وَإِبْرَاز أَهَمّ مَظَاهِر العُدُول اللُّغَوِي الَّتِي تُمَثِّل خُرُوج الاستِعْمَال الشِّعْرِي فِي شِعْر حَيْدَر محمود عَنْ التَّقَالِيد المَأْلُوفَة، فَكُل شَاعِر يَسْتَعْمِلُ مَظَاهِر مُحَدَّدَة فِي شِعْره، وَالتَّأْكِيد عَلَى أَنَّ الخُرُوج عَنْ المِعْيَار النَّحْوِي فِي بَعْض المواطن هُوَ قَاعِدَة بِحَدِّ ذَاتها، لَكِنَّهَا قَاعِدَة جَمَاليّة وَلَيسَتْ نَحْوِيّة لُغَوِيّة، وَتَحْلِيل مَظَاهِر العُدُول اللُّغَوِي لِبَيَان دَورها وَوَظِيفَتها فِي النَّصّ الشِّعْرِي؛ إذ تضفي على النَّصّ قِيمة تَعْبِيرِيَّة وميزة جماليَّة، مُعتمدًا فِي ذَلِك كُله عَلَى الشواهد الشِّعرِيَّة للشَّاعِر.

أَمّا المَنْهَج المُتَّبَع فِي هَذه الدِّرَاسَةفَهُوَ المَنْهَج التَّحْلِيلِي، الَّذِي يُسَاعِدُ عَلَى تَحْلِيل مَظَاهِر العُدُول اللُّغَوِي، وَكَشْف جَمَالِيَّة لُغَة النَّصّ الشِّعْرِي وَدِرَاسَتها بِطَرِيقَة عِلْمِيَّة مَوْضُوعِيَّة، وَبِعَامة فَالبَحْث يَقُوم عَلَى مكنونين: نَظَرِي، وَتَطْبِيقِي. فَأَمّا الأَوَّل: فَيعرض أَسَاسِيَّات فِي العُدُول اللُّغَوِي، مِنْ خِلَال وَضْع تَأْصِيل نَظَرِي مُتَعَلِّق بِالعُدُول اللُّغَوِي وَظَوَاهِره، وَأَمّا الآخَر: فيعرض نَمَاذِج مِنْ شِعْر حَيْدَر محمود لِتَحْلِيل بَعْض الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة الأُسْلُوبِيَّة فِي شِعْره؛ لِبَيَان أَهَمِّيَّتها وَقيمتها فِي النَّصّ الشِّعْرِي، وَهُوَ فِي ذَلِك كُله يَعْتَمِد خُطُوَات البَحْث العِلْمِي مِنْ جمع لِلمَعْلُومَات وَتَبْوِيبها وَتَحْلِيلها وَتَصْنِيفها.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وَجَاءَتْ هَذه الدِّرَاسَة تَتَضَمَّن مُقَدّمَة، وَتَمْهِيدا، وفَصلين، وَخَاتِمَة، وَقَائِمَة بِأَسْمَاء المَصَادِر وَالمَرَاجِع، فَالمُقَدّمَة تَعرض خطّة تُحدد مُنْطَلَقات الدِّرَاسَة مِنْ حَيْث أَهمية المَوْضُوع، وَالأَهْدَاف التي يَتوخّاها، وَالمَنْهَج المُتَّبَع، والدّرَاسات السَّابقة، وَأَمّا التَّمْهيد فَيَعْرِض مَفْهُوم العُدُول لُغَة واصطلاحا، وَآرَاء العُلماء القُدَمَاء وَالمُحَدثين فيه، وَأَنْوَاع العُدُول اللّغَوِي.

وَالفَصْل الأَوَّل، تَنَاوَل ظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير مِن حَيْث المَفْهُوم وَعِنَايَة القُدَمَاء وَالمُحَدثينَ فيها وَأَسبَاب حُدُوثها، وَقَدْ اندَرَجَتْ تَحْتَ مَبْحَثَيْنِ هُمَا: الجُمْلَة الاسمِيَّة وَالجُمْلَة الفعلِيَّة، حَيث يَبْحَث كُلّ مَبْحَث فِي صُوَر التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير التي ترتبط به مِن خِلال الشواهد الشّعرية التي تُوضح ذلك.

وَتَطَرَّق الفَصْل الثَّاني لِظَاهِرَة الحَذْف مِنْ حَيْث مَفْهُومها وَأَسْبَابها وَأَغْرَاضها وَأَنْمَاطها، وَيَشْتَمِل عَلَى ثَلَاثَة مَبَاحِث، حَيْث يَبْحَث القِسْم الأَوَّل فِي حَذْف الحَرْف، وَالقِسْم الثَّاني فِي حَذْف الكَلِمَة، وَالقِسْم الثَّالِث فِي حَذْف الجُمْلَة، مُعتمدًا فِي ذلك عَلَى الأَمْثِلَة الشِّعْرِيَّة التي تُبين الأغرَاض البَلاغِيَّة وَفَوَائدها.

***الدِّراسات السَّابِقَة:**

وَإِنْ كَانَتْ الدِّرَاسَة تَتَنَاوَل مَوْضُوعًا قَدْ تَطرق لَهُ بَعْضُ البَاحِثِينَ فِي دِرَاسَاتِهِمْ، سَوَاء مِنْ قَرِيب أَو مِنْ بَعِيد، إِلَّا أَنَّهُ لَا تُوجَدُ دِرَاسَة سَابِقَة – عَلَى حَدِّ اِطِّلَاعِي – تَتَنَاوَلُ مَوْضُوع العُدُول اللّغَوِيّ فِي شِعْرِ حَيْدَر مَحْمُود دِرَاسَة مُسْتَقِلَّة، وَمِنْ أَهَمّ هَذِه الدِّرَاسَات: العُدُول اللُّغَوِيّ فِي لُغَةِ الصِّحَافَةِ لِفَازِية تِيقرشة، وَالعُدُول النّحْوِيّ فِي لُغَةِ الصِّحَافَةِ لِنَعِيمَة حَمُو، وَظَاهِرَة العُدُول فِي شِعْر عنترة دِرَاسَة أُسْلُوبِيَّة لِعَمَّار جرادات، وَالعُدُول فِي البِنْيَة التَّرْكِيبِيَّة قِرَاءَة فِي التُّرَاث البَلَاغِيّ لِإِبْرَاهِيم التُّرْكِيّ، والانزياح فِي شِعْر نِزَار قَبَّاني لِمَحْمُود عمر، والانزياح فِي شِعْر سَمِيْح القَاسِم لوهيبة فوغالي، إِضَافَة إِلَى غَيْرِهَا مِنْ الدِّرَاسَات السَّابِقَة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَقَدْ أَفَادَتْ دِرَاسَتي كَثِيرًا مِنْ هَذِه الدِّرَاسَات السَّابِقَة وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أَفْكَار إِلَّا أَنَّهُ لَا تُوجَدُ دِرَاسَة مُسْتَقِلَّة طَبَّقَتْ مَوْضُوع العُدُول اللُّغَوِي عَلَى شِعْر حَيْدَر مَحْمُود، وَرَكَّزَتْ عَلَى البُعْد التَّحْلِيلِيّ فِيهَا؛ مِنْ أَجْل الكَشْف عَنْ جَانِب مُهِمّ مِنْ جَوَانِب الإِبْدَاع عِنْدَ هَذَا الشَّاعِر الفَذّ.

وبذا، فَإِنَّ الجَدِيد فِي هَذِه الدِّرَاسَة هُوَ اِخْتِصَاصها بِدِرَاسَة العُدُول اللُّغَوِيّ فِي شِعْرِ حَيْدَر مَحْمُود، وَالعِنَايَة بِشَكْل خَاص بِإِبْرَاز القِيَم الدَّلَالِيَّة المُتَنَوِّعَة وَالعَمِيقَة لِهَذَا العُدُول، المُسْتَنْبَطَة مِنْ الرَّابِط الوَثِيق بَيْنَ التَّرَاكِيب وَدَلَالَاتها وَسِيَاقَاتها المُحِيطَة بِهَا.

وَفِي الأَخِير لَا يسعني إِلَّا أَنْ أَشْكُر اللّه تَعَالَى الَّذِي مَنَّ عَلي إِتْمَام هَذَا العَمَل الَّذِي احتَسبَه خَالَصا لِوَجْهه الكَرِيم رَغْمَ مَا فِيه مِنْ نُقْصَان، فَالكَمَال لَه وَحْدَه سُبْحَانه، وَمِنْ ثمّ أَشْكر أُسْتَاذِي المُشْرِف الأستاذ الدّكتور يوسف أَبو العدوس، الَّذِي لَمْ يَتَوَانَ عَنْ نُصْحِي وَإِرْشَادِي، فَكَانَ خَير مُوجه، وَنَسْأَلُ اللهَ عَزّ وَجَل التَّوْفِيق وَالسَّدَاد.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التَمهيد

• مَفْهُوم العُدُول:

لُغَة:

وَرَدَتْ لَفْظَة (عَدَلَ) فِي العِينبِمَعْنى: عدل الشَّيء نَظِيره... وَالعَدل أَن تَعْدِلَ الشَّيء عَنْ وَجْهه فَتميله... وَعَدَلْتُ الشَّيء: أَقَمْتُهُ حَتَّى اعْتَدل... وَعَدَلْتُ الدَّابَّة إِلَى كَذَا: أَيْ عَطفتها فَانْعَدَلَتْ(١).

وَجَاءَ فِي لِسَان العَرَب: مَال... وَفِي الحَدِيث: لا تُعْدَلُ سَارحتكم أي لَا تُصْرَفُ مَاشِيَتكم وَتُمَالُ عَنْ المَرْعَى (٢).

وَجَاءَتْ مَادَّة(عَدَلَ) فِي مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة: "العَيْن والدال واللام أَصْلَان صَحِيحان، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلان كَالمُتضادين: أَحَدُهما يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاء، وَالآخَر يَدُلُّ عَلَى اعوِجَاج"(٣).

وَفِي القَامُوس المُحِيط يُقَال: عَدَلَ الفحل عَنْ الضراب أَيْ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ عَنْه(٤).

أمّا فِي المُعْجَم الوَسِيط يُقَال: عَدَلَ عَدْلًا، وَعُدُولًا أي بِمَعْنى حَاد عَن الشَّيء وَمَال إِلَى غَيْره، وَيُقَال عَدَلَ عَنْ الطَّرِيق: حَادَ، وَعَدَلَ إِلَيْهِ أَي رَجَعَ(٥).

---

(١) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار العلوم، جامعة القاهرة، ج٣، ص١١٠- ١١١.

(٢) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج١١، ص٤٣٤.

(٣) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص٢٤٦.

(٤) ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم، ٢٠٠٥م، ط٨، ص١٠٣٠.

(٥) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م، ص٥٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَفِي المُنجد فِي اللُّغَة: عَدَلَ عَن الطَّرِيق أي حَادَ وَمَالَ... وَعَدَلَ عُدُولًا إِلَيه أي رَجَعَ[١].

يَتَبَيَّن مِمَّا سَبق أَنَّ المَعَاجِمَ اللُّغَوِيَّة القَدِيمَة وَالحَدِيثَة تَجْتَمِعُ عَلَى دَلَالَة مَادَّة عَدَلَ فِي أَنَّهَا جَاءَتْ بِمَعْنى الإِنْصِرَاف عَن الشَّيء أَو المَيل عَنْه.

اصطلاحا:

قَدْ شَاعَ مَفْهُوم العُدُول فِي دِرَاسَات كَثِير مِن العُلُوم، وَمِنها الدِّرَاسَات الأَدَبِيَّة الأُسْلُوبِيَّة القَدِيمَة وَالحَدِيثَة، إذ إنَّ الكَثِير مِنْ الدِّرَاسَات الأَدَبيَّة تَنَاوَلَتْ المَوضُوع سَواء مِنْ قَرِيب أَوْ مِنْ بَعِيد، وَذَلِك لِأَهَمِّيَّتِهِ فِي تَحْلِيل النُّصُوص الأَدَبِيَّة، وَدَوْرِهِ الكَبِير فِي خَلْق جَو فَني وَجَمَالي، وَهو المَسؤول عَن إِثَارة المُتَلقّي، وَكَونه حَدَثًا لُغَوِيًّا فِي تَشْكِيل الكَلَام وَصِيَاغَته، عَلَى الرَغْمِ مِن تَعَدُّد تَسْمِيَة المُصْطَلَح. وَعِلمُ الأُسْلُوب هُوَ عَلِم الإِنْحِرَاف، فَالأُسْلُوب هُوَ "مَا لَيْسَ شَائِعًا وَلَا عَادِيًا وَلَا مصوّغًا فِي قَوَالِبَ مُسْتَهْلِكَةٍ... وَهُوَ مجاوزة بِالقِيَاس إِلَى المُسْتَوَى العَادِي، فَهُوَ إِذَنْ خَطَأٌ، وَلَكنه كَمَا يَقُول (برونو) خَطَأٌ مُرَاد"[٢]، أَو "مُفَارَقَة (Departure) أَو اِنْحِرَاف (Deviation) عَن نُمُوذَج آخَر مِن القَوْل يُنْظَرُ إِلَيه عَلَى إِنَّه نَمَطٌ مِعْيَارِيٌّ (Norm)"[٣].

وَعَلَيه فَإِنَّ العُدُول هُوَ الخُرُوج وَالإِنْحِرَاف عَن الكَلَام المَأْلُوف وَالمُتَوَقَّع إِلى اللامألوف واللامتوقع، بِهَدَف ضَخِّ دِمَاءٍ حَيَّةٍ فِي قَوَالِبَ لُغَوِيَّةٍ وَأُسْلُوبِيَّةٍ جَامِدَةٍ لَا حَيَاة فِيها؛ حَيْث إِنَّه يَسْمَحُ لِلأَدِيب بِمُرَاوَغَة اللُّغَة وَخَرْق قَوَاعِدها المِعْيَارِيَّة وَالعُدُول عَن قَوَانِينها، مِمَّا يَدْعُو المُتَلَقّي إِلى الاستفاق مِن غَفْلَته وَيَجعله يثيرالتَّسَاؤل وَيلفت النَّظَر وَالإِنْتِبَاه. وَيُعَوِّلُ إِلَيه الأَدِيبُ لِغَايَاتٍ فَنِّيَّةٍ وَجَمَالِيَّةٍ خَارِجَه عَن الطَّرِيقَة التَّقْلِيدِيَّة بِهَدَف التَّأْثِير فِي المُتَلَقّي، وَإِحْدَاث تَنَوُّع دَلَالِي كَبِير، وَهُوَ

(١) ينظر: معلوف، لويس، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩، ص٤٩٢.

(٢) كوين، جون، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ط٤، ص٣٥.

(٣) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ط٣، ص٤٣.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

الَّذي يُمَيِّزُ الأَدِيب فِي النَّصّ الأَدَبِي، وَلا سِيمَاالشَّاعِر لِأَنَّ الشِّعْر يَنْزِعُ إِلَى تَحْقِيق هُوِيَّته مِن خِلَال الإِتْيَان بِالجَدِيد بِمَا يَتَنَاسَب مَع النَّصّ الشِّعْرِي وَيَختلف عَن الخِطَاب الشَّائِع وَالمَعْرُوف(١).

وَيَلْعَب العُدُول دَوْرًا هَامًّا فِي الشِّعر وَالنَّثر، لَكِنَّه فِي الشِّعر أوضح وأبين منه في النَّثر، لِأَنَّ الشِّعر فَنّ العُدُول الكَامِل عَن التَّعْبِير العَادِي لِلغة، إِذْ يهدمُهَا لِيعيد بِنَاءَها مِنْ جَدِيد، لِذَلِك يَسْتَقِر العُدُول فِي جَمِيع ضُرُوب الكِتَابَة الفَنِّيَّة، بِحَيث يَلْعَب دَوْره وَيعمق وَيتَّسع كُلَّما اتَّجَهنا قدمًا مِن حَقْل النَّثر إِلى حَقْل الشِّعْر، حَتَّى نَصل إِلى دَرَجة يَكُون العُدُول فِي الشِّعْر مُغلقًا عَلَى نَفْسه(٢)، لِذَلِك اتَّخَذَ بَعْضالنُّقَّاد العُدُول مِعياراً لِلتمييز بين اللّغة الشِّعْرِيَّة وَاللُّغَة النثرية، "فَالنَّثْرُ هُو بِالتَحْدِيد دَرَجَة الصفر فِي الأُسْلُوب"(٣)، وَالشّعر هُوَ دَرَجَة المائة، وَيَحْدُثالعُدُول بَيْنَ الدَّرَجَة صفر وَالدَّرَجَة مائة؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِمَّة العُدُول يَكُون فِي الشِّعْر الذي يَبْتَعِد عَنْ الصُّوَر الوَاقِعِيَّة إِلَى المُتَخَيِّلَة، وَعَن الدَّلَالَة القَدِيمَة إِلى الجَدِيدَة.

وَالعُدُول هُوَ أَحَد مُسْتَوَيَات اللُّغَة الغَرِيبَة فِي جَسد القَصِيدة أو النَّصّ الأَدَبِي مِن خِلَال العَمَلِيَّة الإِبْدَاعِيَّة فِي تَمْزِيق أُوَاصِل بِنْيَة الجُمْلَة العَرَبية، وَهُوَ أَرْقَى مُسْتَوَيَات اللُّغَة "فَكُلَّما تَحَقق قَدر أَكْبَر مِن الحَذْف لِلمَعَايِير اللُّغَوِيَّة العَادِيَّة وَالإِبْتِعَاد عَن دَرَجة الصفر فِي الأُسْلُوب كُلّما اقْتَرَبَتْ اللُّغَةُ مِنجَوْهَر الشَّاعِرِيَّة"(٤)، لِذَلِك عِنْد الحَدِيث عَنْه يَحْتَاج المَرء لِلتَّفريق بين مُسْتَوَيَات اللّغَة حَتَّى

---

(١) ينظر: شكال، سامية، الانزياح التركيبي والدلالي في ديوان "محمد جربوعة" دراسة لنماذج مختارة، إشراف: عبد القادر رحيم، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥- ٢٠١٦م، ص١.

(٢) ينظر: اليافي، نعيم، أطياف الوجه الواحد- دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م، ص٩٤.

(٣) كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ط١، ص٣٤- ٣٥.

(٤) التركي، إبراهيم بن منظور، العدول في البِنْيَة التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة أم القرى، ج١٩، ع٤٠، ١٤٢٨هـ، ص٥٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَسْتَطِيع تَحدِيد هَذَا المَفْهُوم عَن غَيْره مِن المُسْتَوَيَات عَلى الوَجه الصَّحِيح، وَيَسْتَطِيع تَمييزه وَمَعْرِفَته فِي النَّصّ الأَدَبِي، فَاللُّغَةُ قَائِمَةٌ عَلَى مُسْتَوَيَينِ: أَحَدُهما مَقصُور عَلى مُجَرد الإفهَام أو التَوصِيل وَهُوالمُسْتَوى النَّمَطِي التَركِيبي، وَالآخَرُ يَتَجاوز الإفهَام وَيَتَأَنَّق فِي استِخدام اللغَة عَلى نَحو خَاص مِن الحُسْنِ والإثَارَة وَهُو المُسْتَوى الفَنِّي البَلَاغِي(١).

فَالمُستَوَى الأَوَّل هُو النَّمَطي العَادِي أَو المَأْلُوف وَيُمَثِّل الإمْتِثَال لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ بِمُخْتَلِف مُسْتَوَيَاتها النَّحْوِيَّة وَالصَّوَتِيَّة وَالصَّرْفِيَّة وَالدَّلَالِيَّة، أَما المُسْتَوَى الثَّانِي فَهُو الفَنِّي الإِبْدَاعِي الذي يَظْهَر بِه العُدُول؛ إِذْ يَنْتَهِك جَوَانِب مُعَيَّنَة مِنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ المِثَالِيَّةِ أي المُسْتَوَى الأَوَّل النَّمَطِي العَادِي.

أَو كما قَال عَبد الحَكيم رَاضي فَاللُّغَة العَادِيَّة لُغَة مُتَعَارَف عَليها مِن الجَمِيع، مُبَاحَة لَهم، لَا يَتَفَاضَلون فِي العِلم بِهَا أو استخدَامِها، أَما اللُّغَة الفَنِّيَّة فَهِي مِن نِتَاج الفرد المُبْدِع وَهِي لِذَلِك فَرْدِيَّة أو شَخْصِيَّة تَصْدُر عَن عَبْقَرِيَّة البَلِيغ، وَتَتَحَدَّى كُل مَا هُو نَمط اِصْطِلَاحِي(٢).

وَاللُّغَة النَّمَطِيَّة جَامِدَة لَا عَلَاقَة لَها بِالجمال وَالفن ولا وجود لَهما بها، أَما فِي اللُّغَة الفَنِّيَّة فَيُعدُّ الجَمَالُ وَالفنُّ عُنْصُرَيْنِ جَوْهَرِيَّيْنِ فِي العَمَلِ الأَدَبِي، وَلِلشَّاعِر الحُرِّيَّة فِي تَشْكيل اللُّغَة بِما تَحْمِل مِن عَاطِفَة وَفِكْر وَصُوَر فَنِّيَّة، وَيَتَوَقَّفُ إِبْرَازهما عَلَى قُدْرَة المُبْدع وَنَجَاحه أَوْ إِخْفَاقه فِي مُوَاجَهة المُتَلَقِّي بِمَا يَأْلف فِي صُورَة مَا لَا يَأْلَف، أَي تَغْرِيب المَأْلُوف.

---

(١) ينظر: جرادات، عمار، ظاهرة العدول في شعر عنترة دراسة أسلوبية، إشراف: شريف عودة، جامعة النجاح، نابلس– فلسطين، ٢٠١٥م، ص٩.

(٢) ينظر: راضي، عبد الحكيم، نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ط١، ص٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَكَذَلِك المُسْتَوَى النَّمَطِي أَو العَادِي "يَعْتَمِد النَّحْو التقعيدي فِي تَشْكِيل عَنَاصِره كَمَا يَعْتَمِد اللُّغَة فِي تَنْسِيق هَذِه العَنَاصِر، وَثَمَرَة التَّرَابُط بَيْن مَا يَقُوم بِه النحاة وَمَا يَقُوم بِه اللُّغَوِيُّونَ ظُهُور مِثَالِيَّة اللغة فِي استخدامها المَأْلُوف، وَهِي مِثَالِيَّة اِفْتِرَاضِيَّة أَكْثَرُ مِنْهَا تَطْبِيقيّة وَاقِعِيّة"(١)، أَما المُسْتوى الفَنِّي فَهُوَ يَقُوم عَلَى اِنْتِهَاك هَذِه المِثَالِيَّة وَاِخْتِرَاق جَوَانِبَ مُعَيَّنَةٍ مِنْهَا لِتَحْقِيق قِيمَة جَمَالِيَّة أوفَنِّية، وَمَزَايا تَعْبِيرِيَّة، وَهَذَا مَا يُسَمّى بالعُدُول.

وَاللُّغَة العَادِيَّة أَيْضًا هِيَ لُغَة الإِيضَاح والإيصَال بِهَدف الاتصال، أما اللُّغَة الفَنِّيَّة فهِيَ لُغَة الإِشَارة والجَمال، الّتي تَجْعَل اللُّغَة تَقُول مَا لَمْ تَتَعلم أَنْ تَقُوله، وَتَتَزيَّن بِمَا لَمْ تَقدر أَنْ تَتزيَّن بِه(٢).

وَالمُستوى النَّمَطي "يَعْتَمِد عَلى المُبَاشَرَة وَيُحَادِث العَقْل وَيَهْدف إلى التَّبَادُل النفعي، وَيَتَّسِم هَذَا المُسْتَوَى مِن الكَلَام بِمَحْدُودِيَّة مُعْجَمه؛ إِذْ لَيْس فِي أَلْفَاظه الجَدِيد، وَلَا فِي مَعَانِيه المُسْتَحْدَث، وَهُوَ لَا يَحْتَاج إلى جَهْد عَقْلِي أَوْ فِكْري لِفهم المُرَاد مِنه، فِي حِين أَنَّ الخطاب الأَدبي يَصْدر عَن مَلَكَة عِنْد منشئه، وَهُو يُخَاطب الوِجْدَان، وَيَسْعَى أَنْ يمس إِحْسَاس مُتلقيه مَسًّا سَامِعا كَانَ أَم قَارِئا، كَمَا يَتَمَيَّز بِأَنَّ أَلْفَاظه مُخْتَارَة، وَمَعَانِيه مُبْتَكَرَة، وَقَدْ يَحْتَاجلِفَهْمه وَلِبيان مَا يُرَاد بِه إلى إِمْعَان الفِكر وَإِعْمَال العَقْل"(٣).

وَيُمكن تَمْيِيز المُسْتَوى النَّمَطِي عَن المُسْتَوى الفَنِّي مِن خِلَال مَا قَاله تودوروف "الحَدَث اللِّسَانِي العَادِي هُو خِطَاب شَفَّاف، نَرَى مِن خِلَاله مَعْنَاه، وَلَا نَكَاد نَرَاه هُو فِي ذَاته، فَهُو مَنْفَذ بَلُّورِي لَا يَقُوم حَاجِزًا أَمَام أَشِعَّة البَصر، بَيْنَمَا يَمْتَاز عَنه الخطاب الأَدَبِي بِكَونه ثَخينا غَير شَفَّاف،

---

(١) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٤م، ط١، ص٢٦٨.

(٢) ينظر: أدونيس، علي أحمد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت– لبنان، ١٩٧٩م، ط٣، ص١٢٥–١٢٦.

(٣) سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، تح: طه وادي، مكتب الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَسْتَوْقِفُك هُوَ نَفسه قَبْل أَنْ يُمكّنَكَ مِن عُبُوره أَو اختِرَاقه، فَهُوَ حَاجِز بلَّوري طليَ صُوَرًا وَنُقُوشًا وَأَلْوَانًا فَصَد أَشِعَّة البَصر أَنْ تَتَجَاوزه"[١]، فَهُوَ يُبَيِّن أَنَّ الخِطاب الأَدَبِي تَشكيل جَمَالِي لِبِنْيَة النَّصّ الأَدَبِي، وَمِنه الشِّعر الذي "يَنْهَضُ عَلَى إِعَادَة النَّظر فِي النِّظَام اللُّغَوِيِّ، وَالإِمْسَاك بِمَا يَتَضَمَّنه مِن قَوَانِين توليدية تَسْمَحُ بِتَمْزِيق ذَلِك النِّظَام اللُّغَوِي المُتَعَارف نَفْسه قَصد خَلْق ذَرى تَعْبِيرِيَّة جَدِيدَة"[٢].

وَعلى الرَغم مِن كُل هَذه الفُرُوق بَيْنَ المُسْتَوَيينِ إِلَّا أَنَّ ذَلِك لَا يَعْني أَنَّهُمَا مُنْفَصِلَانِ تَمَامًا عَنْ بَعضهما، لَا عَلى العَكس مِن ذَلِك فَالأُوّل أصل لِلآخَر، فَالحِرصُ عَلَى مِثَالِيَّة اللُّغَة لَمْ يَقْتَصِر عَلَى النحاة وَاللُّغَوِيين فحسب، وَإِنَّما يُشَارِك فِيه النُّقَّاد وَالبَلَاغِيُّونَ، كَون اللُّغَة المِثَالِيَّة المَأْلُوفَة هِي الأَسَاس وَالأَصل لِتَكُون مَرْجَعًا لَهم فِي كُل عُدُول؛ إِذْ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون فَقَط بوجود المُسْتَوى الفَنِّي الإِبْدَاعِي وَإِنَّمَا بِالمُسْتَوَى المِثَالِي أَيْضًا كَأحد مسويات التَّعبير. فَالنَّحْوُ هُو العَامِل الأَسَاسِي فِي تَحدِيد وَتَأْدِية المَعْنى الأَصْلِي لِلكَلَام، وَهَذَا مَا أُكِّدهُ البَلَاغِيُّونَ أنفسهم، مِثْل السكاكي الذي يَرَى أَنَّ النَّحْو هُوَ الأَصل وَالأَسَاس فِي مَعْرِفة كَيْفِيَّة التَّرْكِيب بَيْنَ الكَلِم لِتَأْدِية أَصل المَعْنى مُطْلَقًا بِمَقَايِيسَ مُسْتَنْبَطَةٍ مِنْ استِقْرَاء كَلَام العَرَب وَقَوَانِينَ مَبْنِيَّةٍ عَلَيها، لِيَحْتَرِز بِهَا عَنْ الخَطَأ فِي التَّرْكِيب[٣]، وَقَدْ سُمّيَ هَذَا الأَصل بِمُسَمَّيَات مُخْتَلِفَة عِند البَلَاغِيين مِثْل (أَصل المَعْنى أَو أَصل الكَلَام).

وَهذه المُشَارَكة فِي المُسْتَوى المِثَالِي لَا تَتَجَاوَز مُجَرَّد الإِشَارَة إِلَيه مِن حيث كَونه نُقْطة انطلاق في دِرَاسَاتهم لِتَحْلِيل بَعْض النُّصُوص الأَدَبِيَّة، كَمَا أَنّهم لَا يَعطُونه أَي أَهَمية؛ إِذْ يَدُورُ اهتِمَامهم حَوْل الخُرُوج عَن مِثَالِيَّة اللُّغَة لِأَنَّهَا فِي نَظَرِهم تَخْلُو مِن أَي قِيمَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة. فَلَقَد أَقَامَ النحاة وَاللُّغَوِيُّونَ مَبَاحِثهم عَلى رِعَايَة الأَدَاء المِثَالِي، أُما البَلَاغِيُّونَ سَارُوا فِي اِتِّجَاه آخَر حيث أَقَامُوا

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط٢، ص١١٦.

(٢) اليوسفي، محمد لطفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، تونس،١٩٨٥م،ص٢٤.

(٣) ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط٢، ص٧٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مَبَاحثهم عَلى أَسَاس انتهاك هَذه المِثَالية وَخرقها وَالعُدُول عَنها، لِأَنها فِي نَظَرهم تَخْلُو مِن أَي قِيمَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة، لَكِن هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ البَلَاغِيِّينَ رَفَضُوا قَوَاعِدَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، لَا الأمر لَيس كَذَلك، وَإِنَّما ذَلِك يُؤَكِّدُ إِدْرَاكهم لِتَحققه بِحَيث جَعَلُوه الخَلْفِيَّة الوَهْمِيَّة وَرَاء الصِّيَاغَة الفَنِّيَّة التي يُمكن أَنْ يَقِيسُوا إِلَيها عَمَلِيَّة العُدُول فِي هَذه الصِّيَاغَة(١).

وَلَقَد رَأَى البَلَاغِيُّونَ فِي المُسْتَوى الفَنِّي جَمَالًا نِسْبِيًّا وَعَدّوه مِن مُتَطَلَّبَات اللُّغَة الأَدَبِيَّة، وَجَعَلُوا المُسْتَوى الأَوَّل مِعْيَارًا يَقِيسُون بِه مِقْدَار عُدُول المُسْتَوى الفَنِّي، لِأَنَّ التَّرْكِيب اللغوي فِي أَدَائه الفَنِّي قَدْ يَعْدِلُ عَن النَّمَط التَّقْلِيدِي بِأَنْ يَتَضَمَّنَ بَعض المَلَامح التي يَنْفَرِد بِهَا عَمَّا سِوَاه، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ ننظر إِلى تِلك العدولات عَلَى أَنَّهَا رُخَص شِعْرِيَّة أَو اِبْتِدَاع فَرْدِي، وَإِنَّمَا هِي فِي الوَاقِع نِتَاج بَرَاعَة استخدام المَادَّة اللُّغَوِيَّة المُتَوَفِّرَة، وَتَوْظِيفها الذَّكِي لِلإِمْكَانَات الكَامِنَة فِي اللّغَة(٢).

فَدِرَاسَة النَّصّ وَتَحْلِيله تَقُومُ عَلَى الأَدَاء النَّحْوِيَّ، لِذَلِك لاَ بُدَّ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ اللُّغَةَ أَنْظِمَةٌ يُعْطِي بَعْضها بَعْضا وَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ مَا يُعْطِيه الأَدَبُ لِلنَّحْوِ وَلا بُدَّ أَن تَعْرِفَ مِن وَجه آخَر مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيه النَّحْوُ لِلأَدَبِ، فَاللُّغَةُ مُتَدَاخِلَةٌ لَا يُمْكِن فَصل مُستوياتها عَن بَعْضها لِأَنَّ كُلّاً مِنها يُؤَثِّر بِالآخَر، وَاِنْفِصالها عَن بَعضها قَدْ يَجني عَلَيها؛(٣)، وَهَذا ما نَجده عِند عَبد القَاهر الجرجاني الذي عَالَجَ نُصُوص الشِّعر على أَسَاس الدَّرس اللّغوي النَّحْوِي الذي جَعَلَه مَنْفَذًا إِلَى المعاني والدَّلالات الخفية، وَرَأى أَنَّ الشِّعْر لَا يُدْرَس بِناء عَلى مَوضوعات تُحَدَّد لهسلفا،وَإِنَّما يُدْرَس بِناء عَلى أنظمته اللُّغَوِيَّة وَتَشْكِيلَاته النَّحْوِيَّة(٤)، إِذ "اِرْتَفَعَ مُسْتَوى النَّحْو فَلَمْ يَعُد مَوْضُوعًا يَحْفِلُ بِهِ المشتغلون بِالمثل

(١) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢٦٩.

(٢) ينظر: عيد، رجاء، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص١٤٨.

(٣) ينظر: ناصف، مصطفى، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٩م، ص٢٥٨.

(٤) ينظر: بوفتاح، عبد الحليم، نحو النَّص من الجذور التراثية إلى الآفاق الأسلوبية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع١٠، ٢٠١٠، ص٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللُّغَوِيَّة، وَالذين يَرَوْنَ إِقَامَة الحُدُود بَيْنَ الصَّوَاب وَالخَطَأ، بَل هُو مشغلَة الفَنَّانين وَالشُّعَراء، وَهُم الذين يَفْهَمُونَ فِي النَّحْو، وَصَارَ الفَهْم الجَدِيد يَجْعَلُ النَّحْو زَخَارِف اللُّغَة كَزَخَارِف الفُنُون الجَمِيلَة"[١].

لِذَلِك لَا بُدّ مِن مَعْرِفَة أَنَّ الخُطْوَة الأُولَى لِلخَوْض فِي الدِّرَاسَات الأُسْلُوبِيَّة وَالِانتقال إِلى مَعَانيها هِي مَعْرِفة الدِّرَاسَات النَّحْوِيَّة وَمَعَانيها، لِأَنَّهَا المُنْطَلَق الذي يَتِمُّ فِيه نَسْج العَلَاقَات التَّرْكِيبِيّة، وَالأَسَاس لِمَعْرِفة المعاني وَالدَّلَالَات؛ فَلَا يُمْكِن مَعْرِفة الدَّلَالَة الخَفِيَّة إِنْ لَمْ يَكُن هُنَاك معرفة عَن الدَّلَالَة الأَصْلِيَّة النَّحْوِيَّة فِي المقام الأَوَّل.

وَهُنَاك مُسْتَوى ثَالِث مِن مُستَوَيَات اللّغَة لَكِن لَا يُمْكِن الِاعْتِرَاف به، ولا يُمْكِن أَنْ يُوَازِي العدول فِي أَهَمِّيَّته، لأَنَّ العُدُول يَتَمَيَّزُ بِرُتْبَة الإِبْدَاع، وَيَقَع فِي الكَلَام الفَصِيح وَمنه القُرآن، وَهَذا المُسْتَوى هُو الخَطَأُ المَرْفُوض الذي يُعدُّ خَارِجًا عَن نِطَاق الفَصَاحَة وَالمَنطِق والمُتَمثل في الأخطَاء، وَالجُمَلُ فِيه غَير صَحِيحَة وَفَاسِدَة عَلى المُسْتَوَيين النَّحوي وَالدَّلَالِي، لا يُحَقِّق أي فَائِدة، يَحْتَاجُ إِلى أَنْ يُقَوّم وَيُصَحّح، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ تودوروف إِذ يَقُول إِنَّ: "الاستعمال يُكَرِّس اللُّغَة فِي ثَلَاثَة أَضرب مِن المُمارسات: المُسْتَوى النَّحْوِي وَالمُسْتَوى اللانحوي، وَالمُسْتَوى المَرْفُوض، وَيَرَى أَنَّ المُسْتَوَى الثَّاني يُمَثِّلُ أَريحية اللُّغَة فِيها يَسَعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيه"[٢] كَيْفَمَا شَاءَ، وَهُو هُنَا يَقْصِد العُدُول.

(١) درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع،القاهرة– مصر، ١٩٩٨م، ص٧٨.

(٢) هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ط١، ص٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويُمكن استخلاص كل ما قِيل سابقا عن مُستويات اللُّغَة على النَحْوِ الآتي:

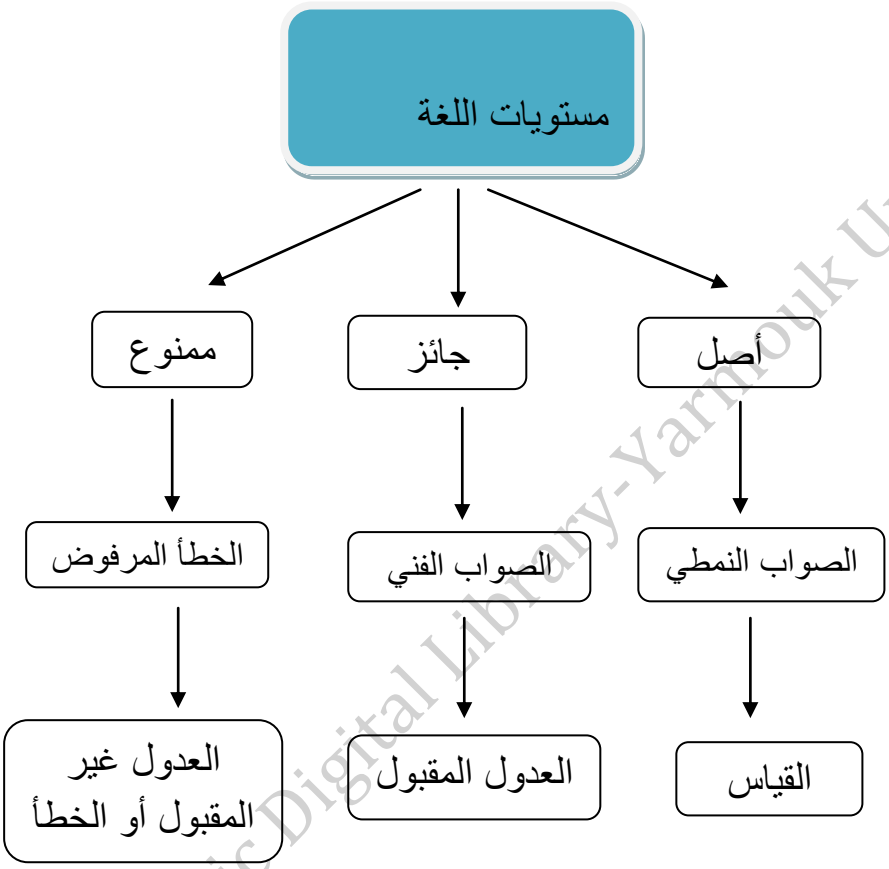

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَتَبَيَّن مِما سبق أَنَّ العُدُول هو اِنْتِقَال اللّغَة مِن الاستعمال المعياري المُتدَاول إِلى الطَّاقَة الخَلَّاقة التي تَسْعَى إِلى التَّفَرُّد وَالتَمَيُّز، مِن خِلَال التَّلَاعُب فِي عَنَاصِر الجُمْلَة أَو إِعَادَة تَرْتِيب أَلفاظها بِهَدَف إِحْرَاز الدَّلَالَة المَطْلُوبَة وَالهَدَف المَرجوّ، ويَبْلُغ هَذَا الاِنْتِقَال فِي بَعْض الأَحْيَان دَرَجَة الشُّذُوذ الذي يُكسِبها جَسَدًا جَمَالِيًّا وَرُوحًا فَنِّيَّةً، وَمِن العدول يَنْتج الجَدِيد فِي كُل مُحَاوَلة لِلكِتَابة لِدَرَجه أَنَّه شَكّلَ مُعْجَمًا لذاته يَحْتَوِي المُفْرَدَات وَالتَّرَاكِيب الجَدِيدَة غَيْر المَأْلُوفَة.

ولِلعُدُول أَصل تَمَّ الإِعراض عَنه لِغَايَات فِي نَفْس الأَدِيب، وَهُو فِي مَعناه الاصطلاحي الانتقال بِالأَلْفَاظ فِي النَّصّ مِن سِيَاقِهَا المَأْلُوف الاِعْتِيَادِي إِلى سِيَاق جَدِيد خِلَاف الظّاهر، عَن طَرِيق استغلال إِمكانات اللّغة وَطَاقَاتها الكَامِنَة، مِما يثير التَّسَاؤل ويلفت النّظر والانتباه، وَهَذا مَا

يَرمي إليه السكاكي أَنَّ العُدُول عَن التَّركيب اللّغوي إلى تَركيب آخر، لَهُ قَيِّمَةٌ بَلَاغِيَّةٌ، لا تُعْرَف إِلَّا مِن خِلَال الخروج عَنالمَأْلُوف وَمُخَالَفة الكَلام لِمُقتضى الظَّاهر، والغوص فِي الدَّلَالَة العَمِيقَة للفظة، وعليه فَالعُدُول مُصْطَلَحٌ بَلَاغِيٌّ مِن وَجه، وَمُصْطَلَحٌ دَلَالِيٌّ مِنْ وَجه آخر، فَهو مَعَني بِالبَيَان العَرَبي فِي لَفَتَاته البَلَاغِيَّة، وَبِدَلَالَة الأَلفاظ فِي صِيَغ الاستعمال[١].

* إِشكَالِيَّة تَعدد المُصْطَلَح:

يُعدّ المُصْطَلَح أَمرا هَامّا وَضَرُورَة عِلْمِيَّة فِي مَجَال البَحْث العِلْمي، وَهو أَحَد المَفَاتِيح الرَّئِيسِة لِبَوَّابة العُلُوم والمَعَارِف سَواء لِلبَاحث أو لِمُتَلقي البَحث، لَا بَل إِنَّ مَعْرِفَته نِصف العِلْم، كونه يُعَبِّرُ عَن المَفْهومالذي بِدوره يَقُودُنَا إلى المَعْرَفَة، وَهو "وَسِيلَة لِرَصد التَّطَوُّر الدَّاخِلِي فِي فَرع مِن فُرُوع المَعْرَفَة"[٢]، إِلَّا أَنَّه فِي الوَقْت نَفسه مَا زَال يُعَاني حَتى الآن مِن مُشْكِلة تَعَدده، "فِيكُون لِلمُصْطَلَح الوَاحد أَكثر مِن لَفظ وَعِدة مُرَادفات"[٣]، رغم جُهُود المَجَامِع اللُّغَوِيَّة لِتَوحيده، وَهُو أَمر طَبِيعِي نَاتِج عَن أَسباب مُتَعَدِّدَة، أَهَمها المَصَادر المُخْتَلِفة التي يَعْتَمِدها كُلّ بَاحِث فِي دِرَاسَاته، وَعَليه فَإِنَّ مُصْطَلَح العُدُول أَحَد المُصْطَلَحَات غَير الثَّابِتة وَالمُسْتَقِرَّة، فَقَدْ تَنَوَّعَتْ وَتَعَدَّدَتْ تَسْمِيَاته وَكُلّها تُوْحِي بِالتَّخَطي وَالتَّجَاوز واللامألوف من أجل الإتيان بِالجديد المُخالف لِلأصل، وَيُقَابِله مَجمُوعَة مِن المُصْطَلَحَات لَا عَلَاقَة لَهَا به مِن أَي جَانِب؛ لِدَرَجه أَنَّ القَارِئ يَظُنُّ أَنَّه يَتَعَامَل فِي كُل مَرَّة مَع مُصْطَلَح جَدِيد.

---

(١) ينظر: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ص١٦–١٧.

(٢) درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث،ص١٥.

(٣) حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهُنَاك مِن العُلَماء مَنْ أَنْكَرَ ظَاهِرَة التَّرَادُف فِي اللُّغَة[1]، مِما زَادَ الأَمر سُوءًا فِي تَحدِيد مُصْطَلَح مَفْهُوم العُدُول، لِهَذَا كَانَ لَا بُدَّ مِن عَرض أَهم المُصْطَلَحَات التي تَتَقَارب مَع مُصْطَلَح العُدُول لِلدَّلَالَة عَلَى مَفْهُومه، مِنْها ما ذَكَره عَبد السَلَام المسدي، وَهِي:

" الانزياح	L`écar	لفاليري
التجاوز	L`abus	لفاليري
الانحراف	La deviation	لسبيتزر
الاختلال	La distors	لويليك وارين
الإطاحة	La subversio	لبايتار
المخالفة	L`infraction	لتيري
الشناعة	Le scandale	لبارت
الانتهاك	Le viol	لكوهن
خرق السنن	La violation des normes	لتودوروف
اللّحن	L`incorrection	لتودوروف
العصيان	La transgression	لأراجون

(١) ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقة اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضح حواشيه: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التّحريف L`alteration لجماعة مو"[1]

فَهَذه المُصْطَلَحَات جَمِيعها غَربِيَّة المَنْشأ تُعَبِّرُ عَن فِكْر أَصْحَابها، وهُنَاك مُصْطَلَحَات غَربِيَّة ذَكَرَهَا صَلاح فَضل لَمْ تُذَكر عِند عَبد السَلام المسدي، وَقَدْ اختلفت تَسْمِيَات هَذه المُصْطَلَحَات بِاِخْتِلَاف الذين تَعَامَلُوا مَعَها مِثل: بالي يُسَمِّيه خَطَأ، وَتِيرِي يُسَمِّيه كَسرًا، وبَارَت يُسَمِّيه فَضِيحةً أَو كَسراً، وتودوروف يُسَمِّيه شُذُوذًا، وأراجون يُسَمِّيه جُنُونًا[2]، وَنَجد عِند عَدْنَان بِن ذريل عِدَّة مُصْطَلَحَات أُخْرَى، مِنْهَا: الجَسَارَة اللُّغَوِيَّة، الغَرَابَة، الإِبْتِكَار، الخَلْق[3]، وَيُمكن أَنْ يُضَاف إِلَى مَا سَبق ممّا ذكره غيرهما: الإِنْكِسَار، وَإِنْكِسَار النَّمَط، وَالتَّكْسِير، وَالكَسر، وَكَسر البِنَاء، وَالإِزَاحَة، وَالاِنزِلَاق، وَالاِخْتِرَاق، وَالتَّنَاقض، وَالمُفَارَقَة، وَالتَّنَافر، وَمَزج الأَضْدَاد، وَالإِخْلَال، وَالاِخْتِلَال، وَالخلل، وَالاِنْحِنَاء، وَالتَّغْرِيب، وَالاِستطراد، وَالأَصَالَة، وَالاِختِلَاف، وَفَجْوَة التَّوَتّر[4].أَمَّا جَان كَوَهن فَقد أَضَافَ إلى الانزياح وَالإِنحِرَاف وَالخَرق لَفْظًا آخرًا هُوَ (الخَطَأ)، إذ يَقُول: "إِنَّ الأُسْلُوب خَطأ، وَلكنه لَيْسَ كل خَطأ أُسلُوبًا"[5].

وَمِن خِلَال اِسْتِعْرَاض تِلْك المُصْطَلَحَات يَتَبَيَّن أَنَّ المُسَمَّيَات المُسْتَخْدمة لِلدَّلَالَة عَلى مَفْهُوم العُدُول كَثِيرَة، وَفِي هَذه الحَالَة أَصْبح عَلَيْنَا تَوَخّي الحَذَر عِند استخدامها، لِأَنَّه مِنْ الصَّعْب أَنْ نُقِرَّ بِأَنَّ كُل هَذه المُصْطَلَحَات تَدُلُّ عَلى مَدْلُولوَاحد، فَلِكُل مُصْطَلَح مَدْلُولٌ مُعَينٌ، حَتى وَإِنْ تَوَافُق أَوْ اِقْتَرَب هَذَا المَدْلُولُ مَعَ مَدْلُول مُصْطَلَح معين إِلَّا أَنَّه قَدْ يَخْتَلِف مَع مُصْطَلَح آخَر، بَيْنَمَا يَرَى

(١) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص١٠٠-١٠١.

(٢) ينظر:فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص٥٧.

(٣) ينظر: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٣٧. نقلا عن: تامين، جويل، مولينو، جان، المدخل إلى التحليل الألسني للشعر، مجلة الموقف الأدبي (بحث)، ع١٤١- ١٤٣، ١٩٩٧م، ص٢٧٤.

(٤) ينظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح ، في الأدب والنقد، عالم الفكر، الكويت، ع٣، ١٩٩٧م، ص٥٩.

(٥) كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص١٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"عَدْنَان بِن ذريل أَنَّ هَذه المُسَمَّيَات المُخْتَلفة هِي فِي الحَقِيقَة لِمُسَمّى وَاحِد وَأُطلق عَلَيها عَائِلَة الانزياح، وَمَا الاِخْتِلَاف فِي التَّسْمِيَة إِلَّا نَتِيجَة لِلاِخْتِلَاف فِي النَّظْرَة إِلَى تَطْبِيقَاتها وَتَحْلِيلَاتها"[1].

لَكِن عَلى البَاحِث فِي مَفْهُوم العُدُول أَنْ يَسْتَبْعِدَ الكَثِير مِنهَذه المُصْطَلَحَات كَالشَّنَاعَة وَالخللوَالجُنُون وَالعِصْيَان وَالإِخْلَال وَالاِخْتِلَال وَالمُفَارَقَة وَفَجْوَة التَّوَتّر وَالاِنْحِنَاء وَالإِطَاحَة وَالفَضِيحَة والجلل وَالخَطَأ، لِأَنَّهَا قَلِيلَة الاِسْتِعْمَال فِي المَيْدَان النَّقْدِيّ وَمَحْدُودَة القُوَّة فَهيَ لَيْسَت جَدِيرَة بِأَنْ تَكُون مُصْطَلَحًا نَقْدِيًّا للدَّلَالَة عَلَى المَفْهُوم، وَهِي بَعِيدَة عَنْ اللِيَاقَة، التي يجمل بِالأَدَوَات النَّقْدِيَّة أَنْ تَتَّسِم بِهَاوَبَعضها قَدْ يَكُون لِمَوْضُوعَات أُخرى تَحمِلُ بُعْدًا سَلْبِيًّا مِن حُقُول غَير أَدَبِيَّة لَيستْ بِأُسْلُوبِيَّة وَلَا نَقْدِيَّة، وَفِي الوَقْت نَفْسه هُنَاك مُصْطَلَحَات أُولَى أَنْ تُسْتَخْدَم مِنْ غَيْرها؛ إِذْ لَقِيَتْ شُيُوعًا وَاسِعًا فِي الاِسْتِعْمَالفِي المَوْرُوث البَلَاغِي وَالنَّقْدِي وَالدِّرَاسَات الأُسْلُوبِيَّة الحَدِيثَة، وَتُعَبِّر عَن نَفْسه الذي نَحْن بِصَدَده، مِثل: العُدُول، وَالاِنْحِرَاف، والانزياح[2].

١- الانحراف:

وَرَدَتْ مَادَّة (حَرَفَ) فِي مُعْجَم لِسَان العَرَب بِمَعْنَى الميل، وَهُو الخروج عَلى نَحْو مُعَين عَن القَوَاعِدِ المِثَالِيَّةِ التي تَحكم اللُّغَة العَادِيَّة، شَأْنها شَأْن العُدُول تَحْمِل مَعْنى الخُرُوج عَن النَّمَط التَّعْبِيرِي المَأْلُوف.

وَالاِنْحِرَاف هُوَ التَّرْجَمَة لِلمُصْطَلَح (déviation) المَوْجُود فِي اللغَتَيْن الإِنْجِلِيزِيَّة وَالفَرَنْسِيَّة، وَقَدْ شَاعَ اِسْتِعْمَاله بِالإِنجلِيزِيَّة أَكْثَر مِن الفَرَنْسِيَّة، وَقَدْ عُرِف بِالفَرَنْسِيَّة عَلَى أَنَّهُ (Ecart)، وَبِالأَلْمَانِيَّة (Abweichung). فَتَرْجَمَة هَذَا المُصْطَلَح مُبَاشِرَة دُونَ الرُّجُوع إلى التُّرَاث العَرَبِي القَدِيم جَعَله يَشيع

(١) أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسر للنشر والتوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ط١، ص١٨١.

(٢) ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، ص٥٩- ٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَيَنْتَشِر فِي كِتَابَات وَدِرَاسَات كَثِير مِن البَاحِثِينَ والدَّارِسِينَ المُعَاصِرِينَ، وَيُنَافِسُ المُصْطَلَح الأَصِيل المُسْتَعْمَل مِنْ قِبَل القُدَمَاء وَهُو مُصْطَلَح العُدُول، فَكَانَ لَا بُدَّ مِن الرُّجُوع وَالبَحْث فِي أَصل المَفْهُوم وَجَمْيع المُصْطَلَحَات التي تَدُلُّ عَلَيه قَبْلَ إِطْلَاق أي مُسَمّى آخَر يَدُلُّ عَلَى الظَّاهِرَة[١].

وَلَقَدْ وَرَد لَفَظ الإِنْحِرَاف كَثِيرًا فِي سِيَاقَات وَحُقُول أخرى لَيست بِأُسْلُوبِيَّة، وَيَحْمِلُ فِي طَيَّاته بُعدا غَير إِيجَابي بِمَعنى الشّذوذ وَالخروج عَن الحَقّ وَالصَّوَاب وَالفَهْم الخَاطِئ، وَلِلدَّلَالَةعَلَى فَسَاد السُّلُوكِ، وَعَاهَات النُّطق، وَالأَمْرَاض النَّفْسِيَّة[٢].

وَلَقَدْ تَرْجَمَ رَمزي البعلكي هَذَا المُصْطَلَح (déviation) بِالإِنْحِرَاف وَالشُّذُوذ، فِي حِين تَرْجَمَه فَهد عكّام بِالإِنْحِرَاف وَالعُدُول[٣]. فَإِنَّ مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف يُعدّ وَاحدًا مِنْ أَكْثَر المُصْطَلَحَات الوَارِدَة فِي الدِّرَاسَات الأُسْلُوبِيَّة الحَدِيثَة، فَهُوَ حَدِيث النَّشْأَة عَلَى الرَغْم مِن أَنَّ الظَّاهِرَة التي يَدُلُّ عَلَيها لَيْسَتْ جَدِيدَةً، بَلْ تَعودُ جُذُورها إِلَى القِدَم، عَلَى العَكْس مِن مُصْطَلَح العُدُول الذي تَعُودُ جُذُوره إِلى النَّقْد العَرَبِي القَدِيم.

وَهُنَاك الكَثِير مِن الدِّرَاسَات الحَدِيثَة التي اِسْتَعْمَلَتْ مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف بَدَلًا مِنْ المُصْطَلَحَات الأُخْرَى، مِثْل عَبد الحَكِيم رَاضي يَعقدُ فِي كِتَابه "نَظَرِيَّة اللُّغَة فِي النَّقْد العَرَبِي" فَصَلَا كَامِلًا تَحْت عنوان "المِثَالِي وَالمُنْحَرِف"[٤]؛ حَيْث اِسْتَخْدَمَ مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف دُونَ غَيْره مِن المُصْطَلَحَات، وَيَعدُّه

(١) ينظر: ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الكويت، ٢٠٠٣م، ط١، ص٤٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة ذاتها.
(٣) ينظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، ص٦٠.
(٤) راضي، عبد الحكيم، نظرية اللغة في النقد العربي، ص١٩٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأَسَاس فِي بَحْث اللّغَة الأَدَبِيَّة لِذَا فَإِنَّ تَعْيِينه لَا بُدَّ مِنه، وَفِي الوَقْت نَفسه إِنَّ تَعْيِين الأَصل خُطْوَة ضَرُورِيَّة لِتَعْيِين الإِنْحِرَاف عَنه كمًّا وكيفا[١].

أَما مُوسَى سَامِح ربابعة فَقد عَقَدَ فِي كِتَابه "الأُسْلُوبِيَّة مَفَاهِيمها وَتَجْلِيَاتها" فَصَلا كَامِلا تَحْت عنوان "الإِنْحِرَاف مُصْطَلَحًا نَقْدِيًّا"[٢]؛ حَيْث عَالَجَ فِيه إِشْكَالِيَّة مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف فِي الدِّرَاسَات العَرَبِيَّة الحَدِيثَة وَالقَدِيمَة، وَالعَلَاقَة بَيْنَ الإِنْحِرَاف وَالمِعْيَار، ثُمَّ يَنْتَقِل إِلَى ظَاهِرَة الإِنْحِرَاف فِي دِرَاسة النَّصّ الشِّعْرِي، وَلَقَدْ سَمَّاه نَفر غَير قَلِيل بِالإِنْحِرَاف فِي الدِّرَاسَات العَرَبِيَّة الحَدِيثَة.

وَعَلَى الرَغْم مِن وجود بَعْض النُّقَّاد وَالدَّارِسِين الذين اِسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف إِلَّا أَنَّ مِنهم مَن عَارَضَ اِسْتِعْمَال هَذَا المُصْطَلَح وَعدُّوه مُنَافِيًا لِلاِسْتِعْمَال السَّلِيم مِثل عَبد القَادر القط الذي رأى أَنَّ كَلِمَة الإِنْحِرَاف "اِرْتَبَطَتْ بِمَعَاني خُلقية وَقَوَانِين طَبِيعِيَّة يصعب أَنْ يخلص السَّامِع مِنْ تَدَاعِيها"[٣]، فَأَوّل مَا يَتَبَادَر إِلى الذهن عِند سَمَاع هَذَا المُصْطَلَح هُو البُعْد السَّلْبِي وَالجَانِب غَير الأُسْلُوبِي، لِذَلِك كَانَ تَرْك هَذَا المُصْطَلَح جَانِبًا وَالإِنْتِقَال إِلَى مُصْطَلَح آخَر كَالعُدُول أَولى وَأَفضل وَأَدَق فِي التَّعْبِير عَن المَفْهُوم.

وَبِناء عَلَى مَا سَبق يَتَبَيَّن أَنَّ الإِنْحِرَاف كَلِمَة مَشْغُولَة فِي الكُتُب وَالأَذْهَان سَوَاء كَانَتْ إِيجَابِيَّة أَم سَلْبِيَّة فِي الحَقْل النَّقْدِيِّ العَرَبِيِّ وَالغَرْبِيِّ.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢١٥.

(٢) ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص٤٣.

(٣) القط، عبد القادر، قضية المصطلح في مناهج النقد الأدبي الحديث، المجلة العربية للعلوم الإنسانية–جامعة الكويت، ١٩٩٤م، ص١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢-الانزياح:

وَرَدَتْ مَادّة (زَيَحَ) فِي مُعْجَم لِسَان العَرَب بِمَعْنى البُعْد والتَّبَاعُد، وَهُو "الخُرُوج عَن المِعْيَار لِغَرَض قصد إليه المُتَكلم"(١)، شَأْنه شَأْن العُدُول وَالاِنْحِرَاف يَحْمِل مَعْنى الخُرُوج عَن النَّمط المِثَالِي المَأْلُوف.

وَيُعرفه أَحْمَد محمد ويس بِأَنَّه "اِسْتِعْمَال المُبْدِع لِلُّغَة مُفْرَدَاتٍ وَتَرَاكِيبَ وَصُوَرًا اِسْتِعْمَالًا يَخْرُجُ بِهِ عَما هُوَ مُعْتَاد وَمَأْلُوف بِحَيْث يُؤَدِّي مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّصِف بِهِ مِنْ تَفَرُّد وَإِبْدَاع وَقُوَّة جَذْب وأسر"(٢).

وَقَدْ وَرَدَ عِند عَبد السَلام المسدي فِي كِتَابه "الأُسْلُوبِيَّة وَالأُسْلُوب" مُصْطَلَح الانزياح تَرْجَمَة(L'écart) وَهَذِه التَّرْجَمَة شَائِعَة فِي الفَرَنْسِيَّة، حَيْث إِنَّ الذين اِسْتَعْمَلُوا الانزياح اعتَمَدُوا عَلَى الثَّقَافَة الفَرَنْسِيَّة، وَالذين اسْتَعْمَلُوا الاِنْحِرَاف اعْتَمَدُوا عَلَى الثَّقَافَة الإِنْجِلِيزِيَّة(٣). فَإِنَّ تَحفّظ بَعْض الأُسْلُوبِيين عَلَى هَذِه التَّرْجَمَة أَدَّى إِلَى إِحْيَاء اللَّفْظَة القَدِيمَة (العُدُول)، كَونها أَفْضَل وَأَحْسَن مِن النَّاحِيَة العِلْمِيَّة لِلتَّعْبِير عَنْ الظَّاهِرَة.

وَيُعدُّ مُصْطَلَح الانزياح مِن المُصْطَلَحَات الحَدِيثَة النَّشْأَة فَهُوكَالاِنْحِرَاف وَلِيد العَصْر الحَدِيث، وَلَقَدْ اِسْتَعْمَلَه كَثِيرَا مِنْ النُّقَّاد وَالبَاحِثِين وَفَضَّلوه عَن غَيْره مِن المُصْطَلَحَات الأُخْرَى مِثل نَعِيم اليَافي إِذْ يَقُول: "وَقَدْ آثَرَنَا اِسْتِخْدَام الانزياح(L'écart) لَيْسَ لِأَنَّه الأَكْثَر شُيُوعًا وَالأَكْثَر دَوَرَانًا عَلَى الأَلسِنةبل لِأَنَّه بِخِلَاف سِوَاه يَحْمِلُ دَلَالَة توصيفيّة لَا تمتّ إِلَى القِيمة وَلَا سيما الأَخْلَاقِيَّة مَنها

---

(١) أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص١٨٠.

(٢) ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م، ط١، ص٧.

(٣) ينظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص١٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بِصِلَة التَّشْوِيه مَثَلًا، أَو الخَطَأ أَو الشَّنَاعَة أَو العِصْيَان، تَحْمِلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِك وتشير إِليه، وَمِن ثم فَهِي لَا تسعفنا فِي الدِّرَاسَة لَا تُلَبِّي مَطْلَبنا فِي حياده المُصْطَلَح وَاِسْتِقْرَاره "[١].

وَيَبْدُو أَنَّ سَبَب ظُهُور مُصْطَلَح الانزياح هُوَ أَنَّ بَعْض البَاحِثِين وَجَدُوا مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف لَا يقع فِي النَّفْس مَوقِع الرَاحَة وَالطَمَأْنِينَة؛ لِأَنَّه يَحْمِلُ دَلَالَة سَلْبِيَّة، حَيْث إِنَّ نَقْل مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف مِنْ مَيْدَان الدِّرَاسَات النَّفْسِيَّة إِلَى الدِّرَاسَات الأَدَبِيَّة يَحْتَاج إِلى تَعَامُل أَكْثَر حَذَرًا، لِأَنَّه قَدْ يَخْتَلِط مَفْهُومه عَلَى المُتَلَقِّي فِي الحَقْل العِلْمِي، فَرَاحُوا يَبْحَثُون وَيُفَتِّشُون عَن اسم آخَر يَدُلُّ عَلَى الظَّاهِرَة، فَظَهَرَ مَعهم مُصْطَلَح الانزياح، وَيَبْدُو أَنَّ اِشْتِرَاك غَالِبِيَّة البَاحِثِين فِي هَذِه التَّسْمِيَة مَا هِي إِلَّا لِلتَّخَلُّص مِن مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف لِمَا لَه مِنْ آثَار سَلْبِيَّة، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيه صَلاح فَضل حَيْث قَال: "إِنَّ التَّحَوُّل عَنْ مُصْطَلَح الإِنْحِرَاف إِلَى الانزياح قَدْ اِرْتَبَطَ بِمَا يخفيه الانحراف مِنْ إِيحَاء أَخْلَاقِي سَلْبِي"[٢].

وَيَظْهَر مِمَّا سَبق أَنَّ غَالِبِيَّة المُحَدثِين لَمْ يعيلوا اِنْتِبَاههم وَاِهْتِمَامهم لِمَا يَحمِله مُصْطَلَح العُدُول مِنْ دَلَالَات تُعَبِّرُ عَنْ الظَّاهِرَة عَلى الوَجه الأَكْمَل، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ "لَمْ يَأْتِ لِوَصْف ظَاهِرَة وَاحِدَة يَنْعَكِس فِيهَا كَسر النِّظَام اللُّغَوِيّ السَّائِد، وَإِنَّمَا تَعَدَّى ذَلك لِيَصِف مَنْهَجًا وَأُسْلُوبًا عِند شَاعِر مِنْ الشُّعَرَاء الذِين خَرَجُوا عَنْ المَذَاهِب المَأْلُوفَة"[٣]، وَأَنَّ العُدُول مَع كَونه خُرُوجًا عَن المَأْلُوف إِلى اللامألوف وَاِنْتِهَاكاً لِلقَوَاعِد المِعْيَارِيَّة، فَإِنَّ فِي أَصَله اللُّغَوِي مَعنى "الإِقَامَة وَالاِسْتِقَامَة"[٤]، أَي أَنَّ هَذَا الخُرُوج مَا هُوَ إِلَّا مِن أَجل إِقَامَة المَعنى وَجَعله أَكْثَر دِقَّة فِي التَّعْبِير عَنْ المَعنى المُرَاد.

---

(١) شكال، سامية، الانزياح التركيبي والدلالي في ديوان "محمد جربوعة"، إشراف عبد القادر رحيم، الجزائر، ٢٠١٥ / ٢٠١٦م، ص١١. نقلا عن اليافي، نعيم، الانزياح والدلالة، مجلة الفيصل، ع٢٢٦، ١٩٩٥م، ص٢٨.

(٢) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، ص٦٣.

(٣) ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص٤٩.

(٤) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ص٤٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

***العُدُول عِند العَرَب القُدَامَى:**

إِنَّ هَذَا المُصْطَلَح قَدِيم كَثِير الوَرُود فِي كُتُب النَّقْد وَالبَلَاغَة، نَالَ اِهْتِمَامًا وَاضِحًا وَوَاسِعًا فِي مُصَنَّفَات عُلَمَاء العَرَبِيَّة القُدَمَاء، الذِين اِسْتَطَاعُوا أَنْ يُمَيِّزوا بين اللُّغَة المَأْلُوفَة التي وُضِعَتْ لِلتَّوَاصل، وَبين اللُّغَة الفَنِّيَّة التي وُضِعَتْ لِلإِبْدَاعوَالتَّأْثِير فِي المُتَلَقَّي.

لِذَلِك عِند الحَدِيث عَنْ الشِّعْر نَجد أَنَّ لَهُ لُغَة خَاصَّة بِه تَكسِر القُيُود التي تَتَّسِمُ بِهَا اللُّغَة المَأْلُوفَة، وَيَرجع سَبب ذَلِك إلى أَنَّ الشِّعْر لَيْسَ كَالنَّثْر؛ إذ فَرَضَ عَلَى نَفسه قُيُودًا تَرْكِيبِيَّةً وَشَكْلِيَّةً، مِما حَتَّمَ عَلَى الشُّعَرَاء أَنْ يَلْجَأَوا إلى التَّوَسُّع لِتَحقِيق أَغرَاض بَلَاغِيّة بِالإِعْتِمَاد عَلَى الدَّلَالَة الطَّبِيعِيَّة، والتَّوَسُّع فِي الصَّرْف وَالنَّحْو لضَرُورَة وَغَير ضَرُورَة، لأَنَّهُ لُولا هَذِه الحُرِّيَّة الصَّرْفِيَّة وَالنَّحْوِيَّة ما أَمْكَنَ لِلشِّعْر أَنْ يَكُون أَدَاة نَاجِحَة لِلتَّعْبِير الفَنِّي، وَمِن هُنَا نَرَى أَنَّ الشُّعَرَاءَ يَتَرَخَّصُونَ فِي شِعْرهم حَتى أَصْبَحَ الإِيغَال فِي حَقْل التَّرَخُّص أَوْضَح مَا يُمَيِّزُ لُغَة الشِّعْر مِنْ لُغَة النَّثْر(١).

فَالشّعر يَنْظُرُ إلى أَنَّ عَبْقَرِيَّة الشَّاعِر تَتَجَلَّى فِي الإِبْدَاع اللُّغَوِي، مِنْ خِلَال قُدْرَته وَعَبْقَرِيَّته وَحَدْسه عَلَى خَرْق اللُّغَة المِعْيَارِيَّة، لِذَلِك يُعدُّ الشِّعْر لُغَة الإِبْدَاع وَالفَن، وَالعُدُول جُزْء مِن هَذَا الفَنّ الذي بِدَوْره يَصْنع التَّأْثِير فِي المُتَلَقَّي، وَبِقَدر العُدُول يَكُون التَّأْثِير، وَعَلَى هَذَا يحق لِلشَّاعِر مَا لَا يحق لِغَيْره مِنْ اِسْتِخْدَامِ الأَسَالِيب الفَنِّيَّة التي لَهَا الأَثَر فِي جَعْل المَعْنَى أَكْثَر دِقَّة وَبَلَاغَة فِي التَّعْبِير عَنْ المُرَاد؛ إذْ يَلْجَأُ إِلَيْهَا الشَّاعِر بِوَعي مِنه عَن طَرِيق اِنْتِهَاك الكَلَام المَأْلُوف لِإِحْدَاث أَثَر فِي نَفس المُتَلَقَّي، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيه الخَلِيل بِنْ أَحْمَد الفراهيدي فِيما نَقله عَن حَازم القرطَاجني أَنَّ الشَّاعِر يَمْتَاز عَن غَيْره بِالتَّصَرُّف وَالحُرِّيَّة، إِذْ يَقُول: "الشُّعَرَاء أُمراء الكَلَام يصرفونه أَنّى شاءوا، وَجَائِز لَهُمْ مَا لَا يَجُوز لِغَيْرهم مِن إِطْلَاق المَعْنَى وَتَقْيِيده، وَمِن تَصْرِيف اللَّفْظ وَتَعْقِيده، وَمَد

(١) ينظر: حسان، تمام، الأصول، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٧٦- ٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَقْصُورة وَقصر مَمْدُودة، وَالجَمْع بَيْنَ لُغَاته وَالتَّفْرِيق بَيْنَ صِفَاته وَاِسْتِخْدَام مَا كَلَّت الأَلْسُن عَنْ وَصْفه وَنَعْته وَالأَذْهَان عَن فَهْمه وَإِيضَاحه، فَيُقَرِّبُونَ كُل بَعِيد، وَيُبعِدُونَ القَرِيب، ويحتج بِهم ولا يحتج عَليهم "[1]، وَهَذَا مَا أَكَّدَه أَيْضًا تِلْمِيذه سيبويه فِي كِتَابه في باب مَا يَحْتَمِلُ الشِّعْر حَيْث قَال:" اعْلَم أَنَّه يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ مَا لَا يَجُوز فِي الكَلَام مِنْ صَرْف مَا لَا يَنْصَرِف"[2].

وَمِن الذين اِسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَح العُدُول لِلتَّعْبِير عَن الظَّاهِرَة سِيبَوَيه فِي كِتَابه، حَيْث أَفْرَدَ لَهُ بَابا سَمَّاه "هَذَا بَاب مَا جَاءَ معدولًا عَن حَدِّه مِنْ المُؤَنَّث كَمَا جَاءَ المُذَكّر معدولًا عَنْ حَدِّهِ"[3]، وَأُعْطى أَمْثِلَة كَثِيرَة عَلَى العُدُول مثل:

لَحقْت حلاق بِهِمْ عَلَى أكسائهم ضرب الرِّقَاب وَلَا يهم المَغْنَم

حَيْث قَال عَنْ البَيْتإِنَّ كَلِمَة "حلاق" معدولة عَن الحالقة، إِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِك المَنِيَّة لِأَنَّهَا تلحق[4]، وَهَذَا النَّوْع مِن العُدُول كَان فِي بَاب المُطَابَقَة.

وَمِن المُصَنَّفَات التي وَصَلَتْ إِلَيْنَا كِتَاب "المُقْتَضَب" لِلمبرد الذي عَقدبَابا سَمَّاه "باب مَا كَان مِن الأَسْمَاء المعدولة عَلَى فعال"[5]، وَكَذَلِك اِبن جني يَذْكر فِي كِتَابه "الخَصَائِص" مُصْطَلَح

(١) القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدرار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ط٣، ص١٢٧.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان، الكتاب،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، ج١، ١٩٨٨م، ط٣، ص٢٦.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص ٢٧٠.

(٤) ينظر :المرجع السابق، ج٣، ص٢٧٣.

(٥) المبرد، أبو العباس محمد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج٣، ١٩٩٤م، ط٣، ص٣٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العُدُول، حَيْث قَال: "وَنَحْو مِنْ تكْثِير اللَّفْظ لِتَكْثِير المَعْنَى العُدُول عَنْ مُعْتَاد لَفْظه"[1]، وَعَقَدَ لَهُ بَابا سَمَّاه "باب فِي العُدُول عَنْ الثَّقِيل إِلَى مَا هُوَ أَثْقَل مِنْه لِضَرب مِن الِاسْتِخْفَاف"[2]، وَيَرَى أَنَّ العُدُول لَيس اِضْطِرَارِيًّا وَإِنَّمَا هُو رُوح المُغَامَرَة وَالرَّغْبَة فِي التَّحَدِّي وَتَذليل الوَعْر وَاِجْتِيَاز كُل طَرِيق مَخُوف.

وَيَرَاه أَيْضًالَيْسَ ضُعْفًا وَلَا عَجْزًا لُغَوِيًّا وَإِنَّمَا مُغَامَرَة لُغَوِيَّة يَخُوضُها الشَّاعِر بِمَهَارَته اللُّغَوِية وجرأته وشجاعته وعبقريته؛ لِإِحْدَاث التغيير اللُّغَوِي الفَنِّي وُصُولًا إِلَى مُرَاده غَير عَابِئ بِمَا تَمْنَعه أُصُول اللُّغَة وَمَا تُبِيحه، وَلُولَا هَذَا التَّمَرُّد عَلَى اللُّغَة مَا كَانَ هُنَاك شِعْر وَلَا إِبْدَاع وَلَا فَارِق بَيْنَ قُدْرَات الشُّعَرَاءِ إِذْ يَقُول: "فَمَتَى رَأَيْت الشَّاعِر قَدْ اِرْتَكَبَ مِثْل هَذه الضَّرُورَات عَلَى قُبْحِهَا وانخراق الأُصُول بِهَا فَاعلم أَنَّ ذَلِك عَلَى مَا جَشّمه مِنه،وَإِن دَلَّ مِنْ جِهة عَلَى جُوَره وَتَعَسُّفه. فَإِنَّه مِنْ وَجه آخَر مُؤَذن بصياله وتخمطه وَلَيْسَ بِقَاطِع دَلِيل عَلَى ضُعْفِ لُغَته وَلَا قُصُوره عَلَى اِخْتِيَار الوَجه وَالنَّاطق بِفَصَاحَته بَل مِثله فِي ذَلِك عِنْدَي مِثْل مَجَري الجموح بِلَا لِجَام وَوَارِد الحَرْب الضَّرُوس حاسرا مِنْ غَير اِحْتِشَام، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ ملوما فِي عُنفه وتهالكه فَإِنَّه مَشْهُود لَه بِشَجَاعَته وَفَيْض منته أَلا تَرَاه أَنَّ لَوْ تكفر فِي سِلَاحه أَو اِعْتَصَم بِلجَام جَوَاده لكان أَقْرَب إِلى النَّجَاة وَأَبْعَد عَنْ الملحاة لَكِنه جَشَّمَ مَا جَشمه عَلَى عِلْمِهِ بِمَا يعقب اِقْتِحَامه مثله دَلَالَة بِقُوَّةِ طَبْعهوَدَلَالَة عَلَى شَهَامَة نَفسه "[3]، فَابن جني فِي هَذَا النَّصّ يُشَبِّهُ الشَّاعِر بِالمُقَاتل لَا يَأْبَه بِالمَخَاطِرِ وَالمَشَاكِلِ بَلْ يَخُوض المُغَامَرَات بِشَغَف وَحَمَاس، لَا يَقْبَل بِالرُّوتِين المُمِل لِيَجْعَل كُل طَاقَته مُوَاجَهَة التَّحَدِّيَات بِمُتْعَة وَمَرَح.

وَقد اِسْتَعْمَلَ عَبد القَاهِر الجرجاني مُصْطَلَح العُدُول أَيْضًا فِي كِتَابه "دَلَائِل الإعجاز"، إِذْ يَقُول: "اعلم أَنَّ الكَلَام الفَصِيح يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسم تعزي المَزِيَّة وَالحسن فِيه إِلى اللَّفْظ، وقسم يعزي

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج٣، ٢٠٠١م، ط١، ص٣٦٧.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج٢،ص٢٦٢.

(٣) المرجع السابق،، ج٣، ص١٦٥- ١٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذَلِك فِيه إِلى النَّظم. فَالقِسْم الأَوَّل: الكِنَايَة وَالاِسْتِعَارَة وَالتَّمْثِيل الكَائِنعَلَى حَدّ الاِسْتِعَارَة وَكُل مَا كَان فِيه عَلَى الجُمْلَة، مَجَاز وَاِتِّسَاع وَعُدُول بِاللَّفْظ عَن الظَّاهِر"[١]، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّحَوُّل مِنْ طَرِيقَة إِلى أُخرى لِأَنَّهَا أَفْضَل فِي التَّعْبِير عَنْ حَاجَّات الشَّاعِر وَالمَعْنى.

أَما أَبو بَكْر الباقلاني فِي كِتَابه "إعجاز القُرْآن الكَرِيم "فيَسْتَعْمِل مُصْطَلَح العُدُول صَرَاحَة وَيُدَلل عَليه بِكَثِير مِنْ الأَمْثِلَة كَالعُدُول عَنْ المُتَكَلم فِي بَعْض التَّرَاكِيب عَنْ اِسْتِعْمَالِ صِيغَة اسم الفَاعِل إِلى صِيغَة فَعَّال لِلدَّلَالَة عَلَى المُبَالَغَة فِي الصِّفَة كَقَولك: رَحّمن معدولة عَن رَاحِم لِلمُبَالَغَة[٢].

وَكَذَلِك أَبو حَازِم القرطاجني الذي يَذْكر فِي كِتَابه "مِنْهَاج البُلَغَاء وَسِرَاج الأُدَبَاء" مُصْطَلَح العُدُول أَيْضًا وَيَعدّه قَضِيَّةً مِنْ قَضَايَاه، حَيْث أَوْرَدَ هَذَا المُصْطَلَح عِند حَدِيثه عَنْ الخطابة، إِذْ يَقُول: "بِأَنْ يعدل بِهَا عَنْ طَرِيقتها الأَصْلِيَّة..."[٣]، يَقْصد الخُرُوج عَنْ القَوَاعِد المِعْيَارِيَّة الثَّابِتَة.

وَلَقَدْ وَرَدَ لَفْظَة العُدُول عِند الفَخْر الرَّازِي فِي تَعْرِيفه لِلاِلتفَات حَيْث قَالَ: "إِنَّه العُدُول عَنْ الغَيْبَة إِلى الخِطابِ أَو عَلَى العَكس"[٤]، أَما ابن الأثِير فيَذكرُ مُصْطَلَح العُدُول تَحْت عنوان "العُدُول عَن بَعْض الحُرُوف إِلى بَعْض نَحْو قَوْله: زيد فِي الدَّار، وَعَمرُو عَلَى الفَرَس، لَكِنْ إِذَا أُرِيد اِسْتِعْمَال ذَلِك فِي غَير هَذَين المَوضِعَيْنِ مِمَّا يُشَكِّلُ اِسْتِعْمَاله عدل فِيهعَن الأَولى"[٥]. وَكَذَلِك ابن سِينَا الذي

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، دار المدني، مصر، ١٩٩٢م، ط٣، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٢) ينظر: الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن الكريم، تح: أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر، مصر، ١٩٩٤م، ص١٩٠.

(٣) القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٦٣.

(٤) الرازي، فخر الدين محمد، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة- مصر، ص١١٢.

(٥) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوى طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ج٢، ط٢، ص٢٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اِسْتَعْمَلَ مُصْطَلَح العُدُول أَيْضًا فِي قَوْله: "فَإِنَّ العُدُول عَنْ المُبْتَذَل إِلَى الكَلَام العَالِي الطَّبَقَة، وَالتي يَقَع فِيهَا أَجزاء هِيَ نُكت نَادِرَة هِيَ فِي الأَكْثَر بسبب التزيين لا بسبب التبيين"(١).

وَلِلعُدُول أَهَمِّيَّة بَالِغَة فِي إِنْمَاء اللُّغَة وَإِغنَائها وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْه الزمخشري حَيْث قَال: "إِنَّ الرُّجُوع مِنْ الغَيْبَة إِلَى الخِطاب إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ لِلتَّفَنُّن فِي الكَلَام وَالاِنْتِقَال مِنْ أُسْلُوب إِلى أُسْلُوب تَطرية لِنَشَاط السَّامِع وَإِيقَاظها لِلإِصْغَاء إِليه"(٢) بِمَعْنى أَنَّ السَّامِع يَمِلّ مِنْ أُسْلُوب وَاحِد فَيَنْتَقِل إِلَى أُسْلُوب آخَر لِلاِسْتِمَاع وَالتَّخَلُّص مِن الرُّوتِين، فَبِالآتي إِنَّ العُدُول بِمَثَابَة الإِبْدَاع وَالاِبْتِكَار يضفي عَلَى النَّصّ الإِثْرَاء اللُّغَوِي، وَبِسَبَبه يَبْتَكِر الشَّاعِر صِيَغًا وَمُفْرَدَاتٍ، كَمَا أَنَّ الاِنْتِقَال إلى تَجَاوز الحُدُود وَتَخطي الأَنْظِمَة اللُّغَوِيَّة يُشَكِّلُ أُسُسا رَاسِخَة لِلشَّعِرِيَّة العَرَبِيَّة، وَيُحدِث هَزَّة سماعية غَير مُتَوَقعة لَدَى المُتَلَقِّي، كَونه هُو مَنْ يُوَجَّه إِلَيه النَّصّ وَيَحكم عَلَى أَهَمِّيَّته وَقِيمَته.

وإِنّ رَصْد ظَوَاهِر العُدُول فِي النَّصّ يُمكن أَنْ تعين عَلَى قِرَاءته قِرَاءة استنباطية تَبْتَعِدُ عَن القِرَاءة السَّطْحِيَّة وَالهَامِشِيَّة، وَبِهَذا تَكُون ظَاهِرَة العُدُول ذَات أَبْعَاد دَلَالِيَّة وَإِيحَائِيَّة تثير الدَّهْشَة وَالمُفَاجَأَة، وَلِذَلِك يُصْبِحُ حُضُوره فِي النَّصّ قَادِرا عَلَى جَعْل لُغَته مُتَوَهِّجَة وَمُثِيرَة تَسْتَطِيع أَنْ تُمَارِس سلطة عَلَى القَارِئ مِنْ خِلَال عُنْصُر المُفَاجَأَة وَالغَرَابَة(٣).

(١) ابن سينا، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٦٩. نقلا عن: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٢٠.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٤.

(٣) ينظر: ربابعة، موسى، الانحراف مصطلحا نقديا، مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٠،ع٤، ١٩٩٥م، ص١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

*** العُدُول عِند المُحَدثِين وَالمُعَاصِرين:**

لَمْ يَخْتَلِف عُلَمَاء العَرَب المُحَدثُونَ عَنْ القُدَمَاء فِي تَفْسِير ظَاهِرَة العُدُول، بَلْ نَالَت الظَّاهِرَة نصيبها من التَّحليل وَالتَّفسير عِند المُحَدثين مِثْلَمَا نَالَت نصيبها عِند القُدَمَاء، وَيُعدُّ العُدُول مِن المُصْطَلَحَات البَلَاغِيَّة القَدِيمَة النَّشْأَة فِي الدِّرَاسَات الأُسْلُوبِيَّة الذي جَاءَ تَرْجَمَة لِكَلِمَة(L`écart) الفَرَنْسِيَّة، وَهَذَا مَا نَجده عِند عبد السَلَام المسدي الذي رأى أَنَّ هَذَا الانزياح مُصْطَلَح Lécart عَسِير التَّرْجَمَة، لِأَنَّه غير مُسْتَقِر فِي مُتَصَوّره، لِذَلِك لَمْ يَرْض بِه كَثِير مِن رُوَّاد اللّسانيَات فَوَضَعُوا مُصْطَلَحَات بَدِيلَة عَنه، وَأَنَّه تَرجَمَةٌ حَرفيَّةٌ لِكَلِمَةEcart عَلَى أَنَّ الظَّاهِرَة يُمْكِن أَنْ نطلق عَلَيها عبارات أخرى كَالتَّجَاوز مَثلا أَو أَنْ نُحيِيَ لَها لَفْظَة مِنْ المَوْرُوث البَلَاغِي وَهِيَ "العُدُول"[١].

وَيَرَى أَحمد ويس أَنَّ عبد السَلَام المسدي هُوَ أَوَّل مَنْ لَفْت الإِنْتِبَاه إلى إِمْكَان إِحْيَاء مُصْطَلَح العُدُول لِلمَفْهُوم الأَجْنَبِي، وَكَانَ ذَلِك فِي كِتَابه "الأُسْلُوبِيَّة وَالأُسْلُوب"، إِلَّا أَنَّه لَمْ يَسْتَعْمِله وَاِسْتَعْمَلَ مُصْطَلَح الانزياح، وَلكنه لَمْ يثبت عليه كَثِيرا فانتَقَلَ عَنْه إلى العُدُول، وَقَال لمّا سَأَلتُهُ فِي ذَلِك أَجَابَ بِأَنَّه عِنْدَمَا اِسْتَعْمَلَ مُصْطَلَح الانزياح تَرْجَمَة لِمَفْهُوم L'écart أَوّل مَرَّة كَانَ بِقَصْد إِبْرَاز سِمَة الجَدَّة مِن حَيْث هُوَ مُتَصَوِّر إِجْرَائِي طَارِئ عَلَى التأليف فِي اللُّغَة العَرَبِيَّة ثمّ جَاءَ مُصْطَلَح العُدُول إِحْيَاء لِمُصْطَلَح بَلَاغَي تُرَاثي لَمْ يَعُدْ يجرّ محاذير الإِلْتِبَاس[٢].

أمّا محمد عَبد المُطَّلب يَرَى أَنَّ العُدُول يُمَثِّلُ الطَّاقَة الإِيحَائِيَّة فِي الأُسْلُوب[٣]، وَيَمْضِي قَائِلًا: فَإِذَا كَانَ النحاة يَهْتَمُّونَ بِمَسْأَلَة الرُّتْبَة بِاِعْتِبَارها مُمَثّلة لمثالية الأَدَاء فِي التَّرْكِيب المَأْلُوف فَإِنَّ البَلَاغِيين لَا يَهْتَمُّونَ فِي مَبَاحِثهم بِهَذه الرُّتَب بِالمِقْدَار الذي يُسَاعِد عَلَى تَحْديد كَمِيَّة العُدُول

(١) ينظر :المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص١٦٢.
(٢) ينظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، ص٦٣-٦٤.
(٣) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَكَيفِيَّته[١]، فَهُوَ يَسْتَخْدِم مُصْطَلَح العُدُول عِند حَدِيثه عَنْ الظَّاهِرَة وَلَمْ يَسْتَخْدِم المُصْطَلَحَات الأخرى التي كَانَت مُنْتَشِرَة كَالإنْحِرَاف والانزياح.

أَما محمد أَبو مُوسَى فِي كِتَابه "خَصَائِص التَّرْكِيب – دِرَاسَة تَحْلِيلِيَّة لِمَسَائِل عِلْم المَعَانِي فيَبْدُو أَنَّهُ دَرَسَ آراءالقُدَمَاءِ البَلَاغِيِّينَ وَالنُّقَّادِ كابن الأَثِير والزمخشري وَالخَطِيب القَزْوِيني وَالعَلَوِي، وَنَقَلَ عَنهم الكَثِير مِنْ آرَائهم بِمَا يَخُص مُصْطَلَح العُدُول وَوظّفها فِي الدِّرَاسَة البَلَاغِيَّة وَخَصَائِص التَّرَاكِيب[٢].

وَإِنَّ الكَثِير غَيرهم مِن المُحَدثين مَنْ اِسْتَخْدَمَ مُصْطَلَح العُدُول مِنهم: تَمَّام حَسَّان[٣] ومحمد عبد المطلب[٤] وَمصطفى السعدني[٥] والأَزْهَر الزناد[٦] وعبد الله صوله وَالطيب البكوش وحمادي صمود الذي يَرَى فِي مُصْطَلَح العُدُول أَفْضَل تَرْجَمَة لِلَفْظَة L'écart[٧].

لَكِن فِي الوَقت نفسه هُنَاك مَجْمُوعَة أخرى مِنْ المُحَدثين لَمْ يَسْتَعْمِلوا مُصْطَلَح العُدُول، وَإِنَّمَا آثَرُوا الإِنْحِرَاف كَصَلاح فَضْل وَعَبد الحَكيم راضِي لأَنَّهم اِعْتَمَدُوا المَصَادِر الإِنْجِلِيزِيَّة، أَما الذين آثَرُوا مُصْطَلَح العُدُول فَقد انطَلَقُوا مِنْ "رُؤْيَة تَحْتَرِمُ التُّرَاث وَتُقَدِّره، وَتَرَى فِيه مُنْطَلَقًا قَوِيًّا نَحْو

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٢) ينظر: مبروك، محمد مختار، العدول بين القدماء والمحدثين دراسة نقدية، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٦.

(٣) حسان، تمام، الأصول، ص١٢٧.

(٤) عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢٦٨.

(٥) السعدني، مصطفى، العدول "أسلوب تراثي في نقد الشعر"، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٦) الزنّاد، الأزهر، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١.

(٧) ينظر: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٤٤– ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحَاضِر وَالمُسْتَقْبَل وَمَا يُمْكِن أَنْ يُؤَسِّس نَظَرِيَّة نَقْدِيَّة عَرَبِيَّة لَا تَنْقَطِع عَنْ مَاضِيها، وَلَا تَنْعَزِل عَنْ حَاضِرها"[١].

*** مِعْيَار العُدُول:**

فَالمِعْيَار هُوَ النِّظَام اللُّغَوِي الذي يَنْبَغي عَلَى المُتَكَلم إتّباعه لِيُحَقِّقَ أَدَاءً لُغَوِيًّا فَصِيحًا، وبِنَاء عليه تُحدّد دَرَجَة الفَصَاحَة عند كُلفَرد[٢]، لذلك مِن الطَّبِيعِي أَنْ تَتَعَدَّد مَعَايِير العُدُول، لِأَنَّ تَحْدِيدها لَيْسَ أَمْرًا سَهْلًا؛ إِذْ إِنَّ العُدُول يَقُوم عَلَى التغيير وَالمُفَاجَأَة، لِذَلِك مِنْ البَدِيهِي أَنْ يَعجِزَ مِعْيَار وَاحِد فِي تَحْدِيده، فَيَخْتَلِفُ المِعْيَار حَسْبَمَا تَقْتَضِيه تَرْكِيبة النَّصّ. وعند الحَدِيث عَن العُدُول فَثمّة تَسَاؤُل يَبْرز فِي كَيْفِيَّةِ تَحْدِيد المُسْتَوَى النَّمَطِي أَو العَادِي لِلُّغَة الذي يَحدثُ عَنْه هَذا العُدُول، وَمِنْ المَعْرُوف أَنَّ الذين تَطَرَّقُوا لِلعُدُول فِي دِرَاسَاتهم حَاوَلُوا تَحْدِيد الأَصل اللُّغَوِي لَه، وَقَدْ اِسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَحَاتٍ مُخْتَلِفَةً لِلدَّلَالَة عليه وَلَكنَّها كُلّها تُعَبِّرُ عَنْ هَذَا الأَصل، كَمَا أَنّ لِلعُدُولِ مُرَادفات كَثِيرَة كَذَلِك الأَصل الذي يتم العُدُول عَنه، نذكر مِنها: المِعْيَار، وَالقَاعِدَة، وَالاِسْتِعْمَال الدَّارِج، وَالاِسْتِعْمَال المَأْلُوف وَالشَّائِع، وَالدَّرَجَة الصِّفْر وَالسُّنَن اللُّغَوِيَّة وَغَيْرها، وَقَدْ وُجِدَ مُصْطَلَحَات أخرى فِي البَلَاغَة وَالنَّقْدعِند العَرَب مِثْل أَصل اللُّغَة وَأَصل الوَضع وَالحَقِيقة وَغَيرها مِنْ المُصْطَلَحَات[٣].

وَتَتَمَثَّلُ المُشْكِلَةُ الأَسَاسِيَّةُ التي تُوَاجِه العُدُول بِالدَّرَجَةِ الأُولَى بِتَحْديد طَبِيعَة المِعْيَار الذي يَحْدُثُ عَنه العُدُول؛ إذ يُفْتَرَضُ مُسْبَقًا تَحْدِيد المِعْيَار الذي يتم العُدُول عَنه، فَرَاحَ البَاحِثُونَ يَبْحَثُونَ ويُفَتِّشون عَنْ المِعْيَار الذي يتم العُدُول عنه، وَيَبْدُو أَنَّهُم لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى تَسْمِيَته فَتَعَدَّدَتْ التَّسْمِيَات،

---

(١) المرجع السابق، ص٣١.

(٢) ينظر: تقريشة، فازية، العدول بين النحو والدراسات الأسلوبية الآليات والغايات، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ص١١٧.

(٣) ينظر: ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَسُمُّوه القَاعِدَة وَالمِعْيَار وَاللُّغَة العَادِيَّة وَالأُسْلُوب المُسْتَعْمَل وَاللُّغَة النثرية، أَو فِيمَا يُسَمِّيه رولان بَارَتْ "دَرَجَة الصفر فِي الكِتَابة" وَهُوَ مُصْطَلَح يُطْلق عَلَى اللُّغَة العَادِيَّة الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَصل اللُّغَة، وَهِي دَلَالَة معجمية لا تَحْمِل فِي طَيَّاتِهَا أَي دَلَالَة فَنِّيَّة أَو جَمَالِيَّة (أُسْلُوبِيَّة)، وَلَا تَحْتَمِل إِلَّا مَدْلُولا وَاحِدا وَهُو الذي وُضِعَ فِي المُعْجَم، فَقَدْ يصحّ اِعْتِمَادها قَاعِدَة أَسَاسِيَّة لِقِيَاس دَرَجَة العُدُول.وحسب نَظَرِيَّة النَّحْو التوليدي والتَّحويلي يَكْمُنُ المِعْيَار فِي البِنْيَة العَمِيقَة الَّتِي يُقَاسُ عَلَيْهَا دَرَجَة العُدُول الَّتِي تَظْهَرُ فِي البِنْيَة السَّطْحِيَّة، وَيُعدُّ هَذَا المِعْيَار الأَكْثَر شُيُوعًا مِنْ بَيْن المَعَايِير الَّتِي تُوضَع لِقِيَاس دَرَجَة العُدُول(١).

وَلَمْ يَتَوَقَّف الأَمْر عِند هَذَا الحَدّ، بَلْ ذَهَب بَعْضهم إِلَى جَعْل النَّثْر مِعْيَارًا لِلعُدُول، وذلك مِن خِلَال التَّفْرِقَة بَيْنَ النَّثْر وَالشِّعْر، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَان كَوهْن عِنْدَمَا قَال: "وَبِمَا أَنَّ النَّثْر هُوَ المُسْتَوَى اللُّغَوِي السَّائِد، فَإِنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَّخِذَ مِنْه المُسْتَوَى العَادِي وَنَجْعَل الشِّعْر مجاوزة تُقَاسُ دَرَجَته إِلَى هَذَا المِعْيَار"(٢)، وَعَلَيه مِن المُمْكِن أَنْ نُشَخِّصَ الأُسْلُوب بِخَط مُسْتَقِيم يُمَثِّلُ طَرَفَاه قُطْبَيْ الخَط، القُطْب النثري الخَالِي مِنْ العُدُول، وَالقُطْب الشِّعْرِي الَّذِي يَصِلُ فِيهِ العُدُول إِلَى أَقْصَى دَرَجَة. وَيَتَوَزَّعُ بَيْنهما مُخْتَلف أَنْمَاط اللُّغَة المُسْتَعْمَلَة فعليا، وَتَقَعُ القَصِيدَة قُرب الطَّرَف الأَقْصَى، كَمَا تَقَعُ لُغَة العُلَماء، دُون شَكّ، قُرْب القُطْب الآخَر، وَالعُدُول فِيه لَيْسَ مُنْعَدِمًا وَلكنه يَدْنُو مِنْ الصفرِ(٣)، وَهُوَ هُنَا يَقْصِدُ النَّثْر العِلْمِيّ، لِأَنَّ النَّثْر يَنْقَسِم إِلَى نَوْعَيْنِ: نَثْر عِلْمِي وَنَثْر فَني، وَعَلَى هَذَا يُمْكِن اعتِبَار اللُّغَة الشِّعْرِيَّة أَرْقَى مُسْتَوَيَات اللُّغَة التَّعْبِيرِيَّة كَون اللُّغَة النثرية تفْتَقر إِلَى مَا تَمْتَاز بِهِ اللُّغَة الفَنِّيَّة، فَاللُّغَة الفَنِّيَّة الشِّعْرِيَّة أُسْلُوبٌ يَهدفُ إِلَى إِيصَال المَشَاعِر وَالأَحَاسِيس وَالعَوَاطِف عَن طَرِيق التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَالحَذْف وَغَيْرها مِن الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة وَالأُسْلُوبِيَّة، أَمَّا اللُّغَة العَادِيَّة النَّثْرِية

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٥١– ٥٢.

(٢) كوين، جون، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣– ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَهِيَ فِكْرٌ يَهْدفُ إِلَى إِيصَال مَعْلُومَة مَا عَنْ طَرِيق القَوَاعِد المِعْيَارِيَّة، وَإِنْ كَانَ بِهَا عُدُول فَلَنْ يَكُنْ بِنِسْبَة عَالِيَة بَلْ سَيَكُونُ قَرِيبًا مِنْ دَرَجَةِ الصِّفْرِ، لِأَنَّ الهَدَف الأَوَّل وَالأَخِير مِنْهَا التَّوَاصُل وَالإِيصَال وَلَيْسَ كَاللُّغَة الشِّعْرِيَّة الَّتِي هَدَفها الأَسَاسِي التزيين وَالإِبْدَاع.

وَثمّة مَعَايِير أُخْرَى لِلتَّعَرُّف عَلَى العُدُولِ فِي النَّصّ الأَدَبِي ومنها أَيْضًا السِّيَاق، وَيُعدّ عَبْد القَاهِر الجرجاني أَوَّل مَنْ أَشَارَ إِلَى مِعْيَار السِّيَاق وَدُوره فِي تَحْدِيد فَصَاحَة الأَلْفَاظ وَمُنَاسَبتها لِمَعَانِيها. فَالأَلْفَاظُ المُجَرَّدَةُ أَوْ المُفْرَدَةُ لَا يُمْكِن أَنْ تَكُونَ فَصِيحةً إِلَّا فِي مُلَائِمَة مَعْنَى اللَّفْظَة لِمَعْنى الَّتِي تَليها وَالدَّلِيل "إِنَّكَ تَرَى الكَلِمَة تروقك وَتُؤْنِسُكَ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ تَرَاهَا بِعَيْنِهَا تثقلُ عَلَيْكَ وَتَوحشك فِي مَوْضِعٍ آخَرَ "[1].

فَالسِّيَاقُ هُوَ الأَصْلُ المَوْثُوقُ بِهِ فِي عَمَلِيَةِ العُدُولِ، فَهُوَ وَحدَه الأَصْل الَّذِي يُمكن مُشَاهَدَته وَوَضعه مَوْضِع المُقَابَلَة بَيْنَه وَبَيْنَ أَي وحدة من وحداته، وَقَدْ يَكُون المَظْهَر الوَحِيد لَهَا أَوْ الدال عَلَيْهَا، فَإِذَا مَا اِتَّخذنا نِظَام اللُّغَة قَاعِدَة لِلعُدُول، فَإِنَّنَا لَا نَسْتَطِيع إِدْرَاك ذَلِك العُدُول عَنْ قَاعِدَة النِّظَام اللُّغَوِي إِلَّا ضِمن سِيَاق الكَلَام، إِذْ إِنَّ الدَّلَالَة الإفرادية لِلصيغ لَا اِعْتِبَار لَهَا، وَمِنْ ثم فَلَا اِعْتِبَار إِلَّا لِلدَّلَالَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ، وَهِيَ دَلَالَة السِّيَاق لَا غَيْر، وَمِن ثم يُصْبِح السِّيَاق هُوَ مَظْهَر العُدُول الحَقِيقِي عَن أَي قَاعِدَة من القَوَاعِد، وَمِنْ ثمّ يَكُون جَدِيرًا بِأَنْ يَكُون هُوَ القَاعِدَة السَّائِدَة فِي قِيَاس العُدُول[2].

فَالمَعْنى المَقْصُود لِلكَلِمَة أَو الدَّلَالَة الجَدِيدَة لَهَا لَا يُمْكِن الوُصُول إِلَيْهَا إِلَّا مِن خِلَال تَجَاوُزها مَع غَيْرها مِن الكَلِمَات لِتَسْتَطِيع تَحْديد دَلَالَتها الجَدِيدَة "فَمُعْظَم الوَحْدَات الدَّلَالِيَّة تَقَعُ فِي

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٤٦.

(٢) ينظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م، ص١٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُجَاوروَحْدَات أخْرَى وَإِنَّ مَعَاني هَذِه الوَحْدَات لَا يُمْكِن وَصفها أَو تَحْدِيديها إِلَّا بِمُلَاحَظَة الوَحْدَات الأخْرَى الَّتِي تَقَعُ مُجَاورة لَهَا"[١].

وَهُنَاك مِعْيَار آخَر للعدول لَا يُمْكِن تَجَاوزه، أَلَا وَهُوَ المُتَلَقِّي الَّذِي يُعدّ مِقْيَاسًا لِلصَّوَاب وَالخَطَأ، وَيَكْمُنُ فِي اعتِمَاد المُبْدِع أَو الأَدِيب عَلَى نَفر مِنْ القُرَّاء مِمَّنْ لَهُمْ الدربة فِي قِرَاءَة الجِنْس الأَدَبِي وَتلقي الكَلَام وَتَحْلِيله، إِذْ لَهُمْ ذَوْقهم الخَاص فِي مَعْرِفَة دَلَالَات الأَلْفَاظ، وَلَمْ تَكُن أَحْكَام هَؤُلَاء القُرَّاء فِي مُسْتَوى وَاحد، وَإِنَّمَا عَلَى البَاحِث أَنْ يَأْخُذ أَحْكَامهم وَيُحَاوِل الاِسْتِفَادَة مِنْهَا فِي دِرَاسَاته[٢].

ذَلِك أَنَّ خَرْق المِعْيَار وَكَسْره لَا يَتِمّ إِلَّا بِقَصْد مِنْ المُبْدِع أَو الأَدِيب لِتَحْقِيق القِيمَة الفَنِّيَّة وَالجَمَالِيَّة، فَالكَلِمَة خَارِج النَّصّ تَحْمِلُ دَلَالَات ذَاتِيَّة، وَفِي النَّصّ تَحْمِلُ دَلَالَات إِيحَائِيَّة، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَاف نَفْسِيَّة الأَدِيب وَطَبْعه، يَقْصِدُ إِلَيْهَا مِنْ أَجْل التَّأْثِير فِي المُتَلَقِّي.

وَمِن المَعَايِير الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ العُدُول فِي النَّصّ الأَدَبِي مِعْيَار الحِس اللُّغَوِي عِنْدَ المُتَلَقِّي، وَهَذَا المِعْيَار فَضْفَاض غَيْر مُحَدَّد، إذ يَتَفَاوَت المُتَلَقُّوْنَ فِي تَحْدِيد دَرَجَة العُدُول، يَقُول شُكْرِي عياد: "إننا نُدْرِكُ منْ أَوَّل وَهْلَة أَنَّ القَارِئ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَوْقِفَهُ تَعْبِير مَا، يُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهُ خَارِج عَلَى المَأْلُوف بِدَرَجَة كَافِيَة لِيعدَّهُ اِنْحِرَافًا، وَمِنْ ثمّ يَرَى فِيهِ سِمَة أُسْلُوبِيَّة قَوِيَّة يستدلُّ بِهَا عَلَى شُعُور الكَاتِب، أَوْ عَلَى المَعْنَى الَّذِي يُرِيد أَنْ يُثْبِتَهُ فِي ذِهْن المُتَلَقِّي، مَعَ أَنَّ قَارِئًا آخَرَ أَوْ قُرَّاء آخَرين يُمكن أَنْ لَا يَتّفِقُوا مَعَه فِي ذَلِكَ. فَبَدِيهِيّ أَنَّ كُلّ قَارِئ يَتَأَثَّر بِطَبِيعَته وَمِزَاجه، وَلَا سِيما إِذَا كَانَ ثمّة اختِلَاف بَيْنَ عَصْر الكَاتِب وَعَصْر القَارِئ، لِهَذَا شَدَّدَ شبتسر عَلَى صِفَات الأَمَانَة وَالإِخْلَاص وَالصَّبْر فِي

(١) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م، ط٥، ص٦٨- ٦٩.

(٢) ينظر: جرادات، عمار، ظاهرة العدول في شعر عنترة دراسة أسلوبية، ص٣١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الدَّارِس الأُسْلُوبِي الَّذِي يَنْبَغِي بِطَبِيعَة الحَال أَنْ يَكُونَ خَبِيرًا بِاللّغَة الَّتِي يقرؤها، ومدرَّبا عَلَى هَذَا النَّوع مِنْ القِرَاءَةِ، حَتَّى لَا يُزَيّف مَوَاضع الاِهْتِمَام فِي النَّصّ"[١].

وَعَلَى الرَغْمِ مِنْ تَعدُّد مَعَايِير العُدُول، إِلَّا أَنَّهَا تَبْقَى مُنْطَلَقَات عَامَّة وَغَيْر ثَابِتَة، يَسْتَخْدِمُهَا البَاحِث الأُسْلُوبِي فِي مَعْرِفَة العُدُول وتبيانه، وَمَهْمَا يَكُن مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ البَاحِثِينَ الأُسْلُوبِيين قَدْ بَذَلُوا جُهُودًا كَبِيرَةً فِي البَحْث وَالكَشْف عَنْ المِعْيَار الَّذِي يَتَحَدَّد بِهِ العُدُول، وَذَلِكَ مِنْ فِكْرَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى أَنَّ العُدُول يَفْتَرِضُ أَصْلَاً مُسْبَقًا لِيَكُون هُوَ المِقْيَاس الَّذِي يَتَحَدَّد بِهِ العُدُول، وَتُعرَفُ بِهِ دَرَجَته.

وَهَذَا العُدُول اِخْتِيَار يَلْجَأ إِلَيه المُنْشِئ أَوْ المُبْدِع لِغَايَات وَدَلَالَات فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة يَهْدفُ إِلَيها كَالإِثَارَة الذِّهْنِيَّة، أَو التشويق العَقلي، أَو لَفْت الاِنْتِبَاه، أَو التَّأْكِيد أَو غَيْر ذَلِك مِنْ الأَهْدَاف الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا الكَاتِبُ، وَقَدْ يَكُون العُدُول اِضْطِرَارِيًّا لِلمُحَافَظَة عَلَى قَافِيَة أَو وَزْن، كَمَا يَفْعَلُ الشَّاعِر حِينَمَا تَدْفَعه المُحَافَظَة عَلَى المِيزَان الشِّعْرِي إِلَى أَنْ يَسْلك دُرُوبًا يُبَاحُ لَهُ فِيهَا مَا لَا يُبَاح للناثر[٢].

*** أَنْوَاع العُدُول:**

١- العُدُول التَّرْكِيبِي:

إِنَّ مِن أَسْبَاب تَمَيّز الكَلَام وَالخِطَاب الفَنِّي وَفَصَاحَته وَاِرْتِقَائه رَاجع إِلَى إِيجَاد تَرَاكِيب وَطُرُق جَدِيدَة مِنْ خِلَال الرَّبْطِ بَيْنَ الدوال وَمَدْلُولَاتها فِي العِبَارَة أَو التَّرْكِيب أَو الفِقْرَة، وَأَنَّ تَرْكِيب العِبَارَة الأَدَبِيَّة عَامَّة وَالشِّعْرِيَّة خَاصَّة يَخْتَلِفُ عَنْ تَرْكِيبها فِي الكَلَام العَادِي أَو فِي النَّثْر العِلْمِي، فَالكَلَام العَادِي سَوَاء أَكَانَ إفرادا أَوْ تَرْكِيبا يَخْلُو مِن كُل مِيزَة أَو قِيمَة جَمَالِيَّة، عَلَى عَكْس العِبَارَة الأَدَبِيَّة

(١) عياد، شكري محمد، اللغة والإبداع "مبادئ علم الأسلوب الأدبي"، انترناشونال برس، القاهرة، ١٩٨٨م، ط١، ص٨٢.

(٢) ينظر: الخرشة، أحمد غالب، أسلوبية الانزياح في النَّص القرآني، إشراف: زهير المنصور، جامعة مؤتة، الكرك- الأردن، ٢٠٠٨م، ص٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَإِنَّهَا قَابِلَة بِأَنْ تَحْمِلَ فِي كُل عَلَاقَة مِنْ عَلَاقَاتها قِيمَة جَمَالِيَّة، وَالمُبْدِع الحَقِيقِيُّ لَيْسَ هُو إِيجَاد كَلِمَات لَمْ تَعْرِفها المَعَاجِم وَلَكِن هُوَ مَنْ يَمْتَلِك القُدْرَة عَلَى تَشْكِيل اللَّفْظَة جَمَالِيًّا بِمَا يَتَجَاوَز إِطَار المَأْلُوفَات، وَبِمَا يَجْعَل التَّنَبُّؤ بِالَّذِي سَيَسلكه أَمْرًا غَيْر مُمْكِن وَمِنْ شَأْن هَذَا أَنْ يَجْعَلَ مُتَلَقّي الشِّعْر فِي اِنْتِظَار دَائم لِتَشْكِيل جَدِيد وَمِنه مَعَاني وَدَلَالَات جَدِيدَة[1].

وَالعُدُول التَّرْكِيبِي عُنْصُر مُهِم فِي بَحْث الخَصَائِص الأُسْلُوبِيَّة، حَيْث إِنَّه يُكْسِب العِبَارَة الأَدَبِيَّة وَلا سِيمَا الشِّعْر قِيمَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة، فَهُوَ "يَحْمِلُ مِنْ الفَاعِلِيَّة وَالتَّأْثِير وَالدَّلَالَات مَا لَا يَحْمِله تَرْكِيب آخَر، إِذَا مَا كَانَ أَحَداهما قَرِيبًا مِنْ المِعْيَار أَكْثَر مِنْ الآخِر، وَكُلَّمَا اِبْتَعَدَ التَّرْكِيب عَنْ المِعْيَار حَقَّقَ شَعِرِيَّة أَوْسَع شَرِيطَة أَنْ لَا يَخْرُج عَلَى مُوَاصَفَات اللُّغَة خُرُوجًا نِهَائِيًّا بِحَيْث يُدَمِّرُ أَنْظِمَتها بِحُجَّة الشِّعرِيَّة"[2].

وَلَقَدْ وَضَعَ النُحاةُ حُدُودًا لِلعُدُول عَلَى أَنْ لَا يَتَخَطّى القَوَاعِد النَّحْوِيَّة الَّتِي وَضَعُوهَا، فَالجُمْلَةُ العَرَبِيَّةُ تَقُومُ عَلَى رُكْنَيْنِ أَسَاسِيينِ، فِي الجُمْلَة الاِسْمِيَّة المُبْتَدَأ وَالخَبَر، وَفِي الجُمْلَة الفِعْلِيَّة الفِعْل وَالفَاعِل، وَمَا عَدا ذَلك فِي الجُمْلَة يُعدُّ فَضلة، وَهَذَا هُوَ أَصل القَاعِدَة فِي تَرْكِيب الجُمْلَة العَرَبِيَّة، وَيُضَافُ إِلَيْهِ مَجْمُوعَة أُخْرَى مِنْ الأُصُول مِثْل الذكر وَالإِظْهَار وَالوَصْل وَالرُّتْبَة وَالإِفَادَة، وَتَخْطي هَذِهِ الأُصُول هُوَ عُدُول عَنْهَا، وَيَكُون بِوَسَاطَة الحَذْف أَو الإِضمار أَو الفَصل أَو تَشْوِيش الرُّتْبَة بِالتَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، أَو التَّوَسُّع فِي الإِعْرَاب، وَهَذَا العُدُول إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُطْرَدًا أَو غَير مُطَرَد، فَإِن كَانَ مُطْرَدًا فَإِنَّهُ يَخْضَعُ لِلاِعْتِبَارَات الآتية: الفَائِدَة أَو أَمن اللَّبْس (فَلاَ بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّق الفَائِدَة عَلَى رغم العُدُول)، وَالخُضُوع لِقَوَاعِد مُعَيَّنَة يَتِمُّ هَذَا العُدُول فِي ضَوْئِهَا وَيطردُ فِي ضَوْئِهَا، وَالإِطَار العَام

(١) ينظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص١٢٠.

(٢) الرواشدة، سامح، قصيدة إسماعيل لأدونيس (صور من الانزياح التركيبي وجمالياته)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج٣٠، ع٣، ص٤٦٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لِصِنَاعَة النَّحْو كَمَا يَبْدُو مِنْ خِلَال قَوَاعِد التَّوْجِيه، أَمَّا إِذَا كَانَ العُدُول غَيْر مُطْرَد فالنحاة يُسَمُّونَهُ شَاذًّا أَو ضَرُورَة أَو قَلِيلا أَو نَادِرا أَو خَطَأ، وَكُلّ ذَلِكَ يُمكن تَفْسِيره بِفِكْرَة التَّرَخُّصِ عِنْدَ أَمْن اللُّبس(١).

وَالجُمْلَة كَلَام، وَالكَلَام مَا تَركّب مِنْ كَلِمَتَيْنِ أَو أَكْثَر، وَلَهُ مَعْنى مُفِيد مُسْتَقِلّ مِثل: أَقْبَلَ الضَّيْفُ، وَلَا بُدَّ فِي الكَلَام مِنْ أَمْرَيْن مَعًا التَّرْكِيب وَالإِفَادَة المُسْتَقِلَّة، مَثَلًا لَوْ قُلْنَا: أَقْبَل فَقَطْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَلَامًا لِأَنَّهُ غَيْر مُرَكَّب، وَلَوْ قُلْنا: أَقْبَلَ صَبَاحاً لَمْ يَكُنْ هَذَا كَلَامًا أَيْضًا لِأَنَّهُ عَلَى رغم تَرْكِيبه غَيْر مُفِيد فَائِدَة يَكْتَفِي بِهَا المُتَكَلِّم أَوْ السَّامِع، وَلَيْسَ مِنْ اللَّازِم فِي التَّرْكِيب المُفِيد أَنْ تَكُونَ الكَلِمَتَانِ ظَاهِرَتَيْنِ فِي النُّطق، بَلْ يَكْفِي أَنْ تَكُون أَحَدهما ظَاهِرَة وَالأُخْرَى مُسْتَتِرة؛ كَأَن تَقُول لِلضَّيف: تَفَضَّلْ، فَهَذَا كَلَامٌ مُرَكّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ إِحْداهما ظَاهِرَة وَهِيَ تَفَضّل، وَالأُخْرَى مُسْتَتِرَة وَهِيَ أَنْت(٢).

فَاللَّفْظَةُ لَا قِيِّمَة لَهَا بِمُفْرَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَحَدَّد قيمتها مِنْ خِلَال عَلَاقَتها فِي تَرْكِيب لُغَوِي وَاتِّفَاقها مَع جَارَاتها فِي النّظم (اللَّفْظ وَالمَعْنِى)، لِأَنَّهَا لَا تُفْهَم بَعِيدَة عَنْ سِيَاقِهَا، فَالكَلِمَةُ الوَاحِدَةُ لَهَا أَكْثَر مِنْ دَلَالَة وَلَا يُمْكِن مَعْرِفَة المَعْنَى المَقْصُود إِلَّا مِنْ خِلَال السِّيَاق، فَتَنْظِيم اللُّغَة فِي قَوَالِبَ جَدِيدَةٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ضِمْنَ مَنْظُومَة مُتَرَابِطَة مُتَكَامِلَة، فَهِيَ كعِقد اللُّؤْلُؤ إِذَا مَا تَمَّ نَظمه جَيِّدًا فَسَوْفَ تَتَبَعْثَرُ حَبَّاتُهُ عَلَى الأَرْضِ.

وَالتّصَرُّف فِي البِنَاء التَّرْكِيبِيّ لَا يَعْنِي مُخَالَفَة قَوَاعِد اللُّغَة وَإِنَّمَا عُدُول عَنْ الأَصل، وَهَذَا العُدُول لَا يَكُون فِي دَرَجَة الفَصَاحَة، بَلْ هُوَ عُدُول عَنْ الأَصْل اللُّغَوِي فَقط إِلَى لُغَة فَرْعِيَّة فَنِّيَّة، وَالتَّرْكِيب لَهُ ثَلَاثَة مُسْتَوَيَات: مُسْتَوَى تَرْكِيب الحُرُوف فِي الكَلِمَة، وَمُسْتَوَى تَرْكِيب الكَلِمَات فِي

(١) ينظر: حسان، تمام، الأصول، ص١٢١- ١٣١.

(٢) ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ج١، ٢٠٠٩م، ط١٧، ص١٥- ١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجُمْلَة، وَمُسْتَوَى تَرْكِيب الجُمَل فِي الفِقْرَة. وَيَتَمَثَّلُ العُدُول التَّرْكِيبِي فِي الفَن الشِّعْرِي فِي التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، وَالحَذْف وَغيرها.

٢- العُدُولُ الدَّلَالِيّ:

هُوَ خُرُوج اللَّفْظَة عَنْ دَلَالَتها الأَصْلِيَّة إِلَى دَلَالَة أُخْرَى، حَيْثُ إِنَّهَا تَخرُجُ عَنْ المَعْنَى المعجمي إِلى مَعَان أَوْسَع يَسْتَخْدِمُهَا الكَاتِب مِنْ أَجْل التَّأْثِير فِي المُتَلَقَّي، وَالسِّيَاق هُو الَّذِي يُبَيِّنُ هَذَا المَعْنَى، فِيكُون لِلَفْظ مَدْلُولَانِ: أَحَدهما قَرِيب ظَاهِر لَهُ دَلَالَته المُبَاشرة لَيْسَ هُوَ المَقْصُود، وَالآخَر بَعِيد يَخْرُجُ عَنْ الدَّلَالَة الحَقِيقِيَّة لِلكَلِمَة نَصِلُ إِلَيْه مِنْ خِلَال العَقْل وَهُو المَقْصُود، "فَاللُّغَاتُ فِي مَبْدَأ النَّشْأَة تَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلدَال مَدْلُول وَاحد وَلِكُل مَدْلُول دَال وَاحد،غَير أَنَّ جَدَلِيَّة الاِسْتِعْمَال تُرضِخ عَنَاصِر اللُّغَة إِلَى تَفَاعُل عُضْوِي بِمُوجِبه تَتَزَاوَج الأَلْفَاظ تبعا لِسِيَاقَاتها فِي الاِسْتِعْمَال عَنْ مَعَانِيها الوَضْعِيَّة، فَضْلًا عَمَّا تُدْخِلُهُ القَنَوَات البَلَاغِيَّة من مُجَازَات لِيست هِيَ فِي مَنْظُور اللُّغَوِي إِلَّا اِنْحِرَافَات عَنْ المَعَانِي الوَضْعِيَّة الأُولَى، وَجُمْلَة مَا يَنْتِجُ عَنْ ذَلِكَ أَنّ أَي دَال فِي لُغَة مَا لاَ بُدَّ أَنْ تَتَعَدَّد مَدْلُولَاته مِنْ سِيَاق لِآخَر "[١].

وَيعدّ جَان كَوَهْن الدَّلَالَة "مَجْمُوعَة التأليفآت المُتَحَقِّقَة لِكَلِمَة مَا"[٢]. وَمِنْ الأَمْثِلَة عَلَى العُدُول الدَّلَالِيّ الَّتِي أَوْرَدَهَا جَان كَوَهْن: الإِنْسَان ذِئْب لِأَخِيه الإِنْسَان، فَالمَسْنَد فِي هَذَا المِثَال لَا يُلَائم المَسْنَد إِلَيه فِي الدَّلَالَة، فَهَذَا مَعْنى أَوَّل يحيل إِلى مَعْنى ثَان وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ شِرِّيرٌ فِيكُون العُدُول هُنَا مِنْ بَاب المَجَاز المُرْسل[٣].

---

(١) السد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج١، ١٩٩٧م، ط١، ص١٨٠.

(٢) كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، ص١٠٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٠٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثم إنّ لِكُلّ أَمْر غَايَةً، وَلِكُلّ غَايَة سَبِيلًا، وَإِذَا لَمْ يُحَقِّق العُدُول الغَايَة مِنه، وَهُوَ التَّأْثِير فِي المُتَلَقّي مِنْ خِلَال تَرَاكِيب وَمَعَان جَدِيدَة غَير مَوْجُودَة فِي المُعْجَم، كَانَ الأجدر بِالمُبْدِع أَنْ يَأْتِي بِالكَلِمَة الأَصْلِيَّة، إذ إنّه إن لَمْ يَتَحَقَّق العُدُول فَالأَصْلُ أُولَى، وَهَذَا مَا أَكّدّه ابن الأثِير فِي قَوله: وَاعلمأَنّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَام يَجُوزُ أَنْ يُحمَلَ مَعْنَاه عَلَى طَرِيق المجَاز بِاخْتِلَاف لَفْظَة مَا نظر، فَإِنْ كَانَ لَا مزيَّة لِمَعْنَاه فِي حَمْلِهِ عَلَى طَرِيق المجَاز فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحمَلَ إِلَّا عَلى طَرِيق الحَقِيقَة، لِأَنَّهَا هِي الأَصل، وَالمَجَاز هُوَ الفَرع، وَلَا يُعدَلُ عَنْ الأَصل إلى الفَرع إِلَّا لِفَائِدَة، فَإِنْ لَمْ يَكُن فِي المَجَاز زِيَادَة فَائِدَة عَلَى الحَقِيقَة لَا يُعدَل إِلَيْه، وَاِسْتِعْمَال المُجَاز فِي بَاب البَلَاغَة وَالفَصَاحَة أُولَى مِنْ الحَقِيقَة، لِأَنَّ المَجَاز أَبْلَغ وَأَفْصَح فِي التَّعْبِير[1].

وَلِلعُدُول أَهَمِّيَّة كَبِيرَة تُسَاعِد عَلَى تَطَوُّر الدَّلَالَة؛ فَالمُبْدِعُ يُحَاوِل أَنْ يَجِدَ كَلِمَة جَدِيدَة تُعَبِّرُ عَنْ مَعْنى جَدِيد لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بَيْنَ النَّاس مِنْ قَبْل، فَيَلجأ إِلَى ذَخِيرَته اللَّفْظِيَّة الأَصْلِيَّة وَيُحَاوِلُ إِيجَاد مَعَان أُخْرَى لَهَا، أُرحب وَأَوسع قَادِرَة عَلَى التَّعْبِير عَنْ المُرَاد، لِتحقُّق غَايَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة، وَهنا تَتَغَيَّر العَلَاقَة بَيْنَ هَذِه الأَلْفَاظ وَدَلَالَاتها القَدِيمَة لِأَنَّهَا اِنْتَقَلَتْ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى غَيْر الأَصْلِيَّة، يَقُول إِبْرَاهِيم أَنِيس: "وَيَنْحَرِفُ النَّاسُ عَادَة بِاللَّفْظِ مِنْ مَجَالِهِ المَأْلُوفِ إِلَى آخَر غَير مَأْلُوف حِينَ تَعُوزهم الحَاجَة فِي التَّعْبِير، وَتَتَزَاحم المَعَانِي فِي أَذْهَانِهِمْ أَو التَّجَارِب فِي حَيَاتِهِمْ، ثمَّ لَا يُسْعِفهُمْ مَا ادَّخَرُوهُ مِنْ أَلْفَاظ، وَمَا تَعَلَّمُوهُ مِنْ كَلِمَات، فَهُنا قَدْ يلجأون إِلى تِلْك الذَّخِيرَة اللَّفْظِيَّة المَأْلُوفَة، مُسْتَعِينين بِهَا عَلَى التَّعْبِير عَنْ تَجَارِبهم الجَدِيدَة لِأَدْنَى مُلَابَسَة أَو مُشَابَهَة أَو عَلَاقَة بَيْنَ القَدِيم وَالجَدِيد"[2].

وَذَهَبَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ القُدَمَاء وَالمُحَدثون إِلَى أَنَّ التَّطَوُّر الدَّلَالِي لَهُ أَشْكَال مُتَعَدِّدَة، مِنها: تَخْصِيص الدَّلَالَة وَالمقصود بِها تَضْيِيق المَعْنى وَجَعْل العَام خَاصًّا، وَتَعْمِيم الدَّلَالَة وَتعني تَوْسِيع

(١) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص٨٩.
(٢) أنيس، إبراهيم، تطور الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٨٤م، ط٥، ص١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المَعْنى وَجَعْل الخَاص عَامًا، وَتَغْيِير مَجَال اِسْتِخْدَام الكَلِمَة أَي اِنْتِقَال مَعْنَاهَا إِلَى مَعْنى آخَرَ مُسَاوٍ لَهَا فِي العَامِّ وَالخَاصِّ، وَذَلِكَ هُوَ مَا يُسَمى بِالمَجَاز.

وَثّمة أَشْكَال أخْرَى لِلتَّطَوُّر الدَّلَالِي مِثل اِنْحِطَاط الدَّلَالَة، وَذَلك حِين يصيب الكَلِمَات أو الألفَاظ بَعْض الإِنْهِيَار أَو الضُّعْف، فَتَرَاهَا تَفْقِدُ شَيْئًا مِنْ أَثَرها فِي الأَذْهَانِ، أَو تَفْقِدُ مَكَانها بَيْنَ الأَلْفَاظ الَّتِي تَنَالُ مِنْ المُجْتَمع الإِحْتِرَام وَالتَّقْدِير، مِثْل كَلِمَة (حَاجِب) كَانَتْ تعني فِي القَدِيمِ الوَزِير أَمَّا اليَوْم لَا تَزِيد دَلَالَتها عَنْ مَعْنى البَوَّاب أَوْ الحَارِس، وَشَكْل آخَر يُمْكِنُ أَنْ يَطْرَأ عَلَى الدَّلَالَة وَهُوَ رقي المَعَانِي مِثْل كَلِمَة (بَاشَا) كَانَتْ تَعْنِي عَامِل حِذَاء السُّلْطَان أُمّا اليَوْمارتقى مَعْنَاها لِتَدُلّ عَلَى أَصْحَاب المَنَاصِب الرَّفِيعَة[1]، فَبَعْضُ الأَلْفَاظِ قَدْ تَنْحَطُّ دَلَالَاتها فِي بِيئَة مُعَيَّنَة وَقد تَسْمُو فِي بِيئَة أخْرَى.

٣- العُدُول الصَّوْتِي (الإِيقَاعِي):

يَلْعَبُ الصَّوْت دَوْرًا هَامًّا فِي اللُّغَة العَرَبِيَّة، فَهُوَ أَحَد مُسْتَوَيَاتها الَّذِي لَا يُمْكِنُ الإِسْتِغْنَاء عَنْه فِي الدِّرَاسَات وَالأَبْحَاث؛ إِذْ يُعدُّ "آلَة اللَّفْظ، وَالجَوْهَر الَّذِي يَقُومُ بِهِ التَّقْطِيع، وَبِهِ يُوجَدُ التأليف، وَلَنْ تَكُون حَرَكَات اللِّسَان لَفْظًا وَلَا كَلَامًا مَوْزُونًا وَلَا مَنْثُورًا إِلَّا بِظُهُور الصَّوْت"[2].

وَيقصد بِالعُدُول الصَّوتي ذاك العدول عَلَى مُسْتَوَى أَدَاء الأصوات فَهُوَ مُتَّصِل بِجِهَاز النُّطق عِند الإِنْسَان[3]؛ لِذَلِكَ فإِنَّ هَذَا النَّوْع مِنْ العُدُول يَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ بِحسب مَوقع الصَّوْت مِمَّا جَاوَره مِنْ الحُرُوف، "فَالحَرْفُ الوَاحِدُ تَتَعَدّد صوره بِحسب مَوقِعه مِمَّا جَاوره مِنْ الحُرُوف، كَانَ

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم، تطور الألفاظ، ص١٥٦- ١٥٨.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ١٩٩٨م، ط٧، ص٧٩.

(٣) ينظر: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَيهم أَنْ يُجَرِّدوا أَصْلاً لِهَذه الصُّوَر وَأَنْ يَجْعَلوا الصُّوَر المُخْتَلِفَة عُدُولًا عَنْ هَذَا الأَصْل بِحسب مَبَادِئ مُعَيَّنَة لِلتغيير وَالتَّأْثِير، كَأَثَر الإِدْغَام وَالإِخْفَاء والإقلاب..."[١]، فَكُلّ عُدُول يَعُودُ إِلَى أَصْل وَاحد وَلِهَذَا حُدِّدَتْ حُرُوف اللُّغَة العَرَبِيَّة بِتِسْعَة وَعِشْرِين حَرْفًا، وَلُولَا هَذَا الرَّد إِلَى الأَصْل الوَاحد لَأَصْبَحنا فِي عَدَد لَا نِهَائي مِنْ الأَصْوَات، مِثْل صَوت النون الأَصل أَنْ يَخْرُجَ مِنْ الأَنْف واللِّثَة وَيَكُونُ مَجْهُورًا أَو مُرَقَّقًا، لَكِنَّنَا قَدْ نَعْدِلُ عَنْ هَذَا الأَصْل إِلَى غَيْره، فَيَعْدِل عَنْ المَخَارِج وَالصِّفَات إِلى غَيْرها كَالعُدُول عَنْ الأَنْفِيَّة إِلَى الفَمَوِيَّة، وَعَن الجَهْر إِلى الهَمْس[٢].

وَهَذَا العُدُول يفضي بنا إِلَى معان جَدِيدَة تُنَاسِب السِّيَاق غَير الَّتِي نَطَقَت بِهَا العَرَبُ وَوُضِعَت فِي المُعْجَم، وَذَلِك نَحْو قَوْله تَعَالَى: "**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[٣]، إِذْ نَلْحَظمِنْ الآيَة الكَرِيمَة فَكّ الإِدْغَام فِي الفِعْل (يُحْبِبْكُم) وَذَلِكَ لِلإِيحَاء بِمَعْنى الزِّيَادَة والتضعيف فِي حُبِّ الله لِمَنْ يُحِبّه، وَهَذَا مَا يُسَمّى تَكْرَار الحَرْف، وَهُوَ نَوْع مِنْ العُدُولِ الصَّوْتِيّ[٤]، وَهُنَاكَ أَنْوَاع أُخْرَى لِلعُدُول الصَّوتي الَّتِي تُمَثِّلُ عَائِقًا فِي الخطاب النثري كالتشابة وَالجِنَاس وَالقَافِيَة وَيَجْتَهِدُ الكَاتِبُ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهَا وَتَلَافِيهَا، أَمَّا فِي الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ فَهُوَ عَلَى العَكْس مِنْ ذَلِكَ يَبْحَثُ عَنْهَا.

وَمِنْ أَسْبَاب العُدُول الصَّوْتِيّ تَطَوُّر أَعْضَاء الجِهَاز النطقي عِنْد الإِنْسَان، فَمِن المَعْرُوف أَنَّ أَعْضَاءَ النُّطْقِ فِي تَطَوُّرٍ طَبِيعِيٍّ مُطَرِدٍ فِي بُنْيَتِهَا وَاِسْتِعْدَادِهَا وَمَنْهَج أَدَائهَا لِوَظَائِفِهَا، فَحَنَاجِرنا وَحِبَالنا الصَّوْتِيَّة وَأَلسنتنا وَحُلوقنا وَسَائر أَعْضَاء نُطْقنا تَخْتَلِفُ عَمَّا كَانَتْ عَلَيه عِند أبائنا الأَوَّلِين، إِنْ لَمْ تَكُن فِي بُنْيَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ، فَعَلَى الأَقَلّ فِي اِسْتِعْدَادِهَا، بَلْ إِنَّهَا لِتَختلف فِي ذَلِكَ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ

(١) حسان، تمام، الأصول، ص١٠٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٠٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٤) ينظر: حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، ص٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عِند أبائنا الأَقْرَبين، وَمِنْ الطَّبِيعِيّ أنَّ كُلّ تَطَوُّر يَحْدُثُ فِي أَعْضَاء النُّطق أَو اِسْتِعْدَادها لاَ بُدَّ أنْ يَتْبَعَهُ تَطَوُّر فِي أَصْوَات الكَلِمَات فَتتعدِلُ هَذِه الأَصْوَات عَنْ الصُّورَة الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا إِلَى صُورَةأُخْرَى أَكْثَر مِنْهَا مُلَائِمَة مَع الحَالَة الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا أَعْضَاء النُّطْق، فَكَانَ مِنْ المُسْتَحِيل أَنْ تجمد أَلْفَاظ العَرَبِيَّة مَع هَذَا التَّطَوُّر(١).

وَبِنَاء عَلَى مَا سَبق يَتَبَيَّن أَنَّ العُدُول مهارةلُغَوِيَّة فِي المُسْتَوَيَات التَّرْكِيبِيَّة وَالدَّلَالِيَّة وَالصَّوَتِيَّة، تمليها المَلَكَة الشِّعْرِيَّة لَحْظَة الإِبْدَاع، اِسْتِجَابَة لِسِيَاقَات مُخْتَلِفَة بغية إِثَارَة فُضُول المُتَلَقِّي لِيَقْتَحِم عَوَالِم النَّصّ، وفضاءاته المُكَثَّفَة، عَبر افتضاض دَلَالَاته الإِيحَائِيّة مُرُورًا بِدَلَالَاته البَدِيهِيَّة، فَتحدث اللَّذَّة المَنْشُودَة، وَيستشعر الجَمَال المُودَع فِيه، وتتكشف الوَظِيفَة الشِّعْرِيَّة الَّتِي هِي غَايَة العُدُول(٢).

وَفِي الشِّعْر عنيت اللُّغَة الشِّعْرِيَّة بِاللُّغَة الجزلة المُفَارقة لِلُّغَة الشَّائِعَة المَأْلُوفَة، إِنْ عَلَى مُسْتَوَى المُفْرَدَات، وَإِنْ عَلَى مُسْتَوَى الأَنْسَاق اللُّغَوِيَّة، وَقَدْ تَرَكَتْ هَذِه اللُّغَة لَدَى القُرَّاء إِحْسَاسًا بِأَنَّ الشِّعْر مُقْتَرَنٌ بِالإِغراب، وَأَنَّهُ يَتَشَكَّلُ مِنْ لُغَة خَاصَّة تَبَايُن مَا يَأْلفونَ، وَيَتَّخِذُ مِنْ اللُّغَة المَأْلُوفَة مَادَّته الأَوَّلِيَّة الَّتِي يَتَعَامَل مَعها ويعيد تَشْكِيلها فِي بنى شِعْرِيَّة مُفَارَقَة لِصُورَتها الأُولى(٣).

وَفِي ضَوْء الحَدِيث عَنْ العُدُول اللُّغَوِي سَوْفَ يَتِمّ تَحْلِيل وَتَفْكِيك البنى اللغوية في شِعر حَيدر مَحمود بِنَاء عَلَى نَظَرِيَّة النَّحْو التوليدي التَّحْوِيلِي؛ أَي البِنْيَة السَّطْحِيَّة وَالبِنْيَة العَمِيقَة، وَيُقصد بِمُصْطَلَح البِنْيَة السَّطْحِيَّة التمظهر الخَارِجِيّ لِلنَّصِّ اللُّغَوِيِّ أَو هِيَ الشَّكْل النِّهَائِيّ الَّذِي اِسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الجُمْلَة اللُّغَوِيَّة فِي بِنْيَة النَّصّ اللُّغَوِي بَعْد تَعَرُّض بنيتها الأَصْلِيَّة المُفْتَرَضَة (بِنْيَة العُمْق)

---

(١) ينظر: هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص١٥.

(٢) ينظر: عمر، محمود عبد المجيد، الانزياح في شعر نزار قباني– الأعمال الشعرية الكاملة الأولى أنموذجا، إشراف: جليل حسن محمد، جامعة صلاح الدين، العراق، ٢٠١٢م، ص١٥.

(٣) ينظر:الزعبي، زياد، قراءات شعرية، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ٢٠١٧م، ص٩– ١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِجُمْلَة تحويرات أَو إِقصَاءات أَو إِضَافَات أَحْدَث تَغْيِيرَات جِذْرِيَّة فِي هَذِهِ البِنْيَة حَتَّى أَخَذَتْ شَكْلًا جَدِيدًا اِسْتَوْعَبْته وَتَقَبَّلته البِنْيَة السَّطْحِيَّة، أَمّا البِنْيَة العَمِيقَة فَهِي الأَصل الإِفتِرَاضِي المُتَخَيّل لِلبنية السَّطْحِيَّة، أَو هِي الصُّورَة الأَوَّلِيَّة لِلجُمْلَة اللُّغَوِيَّة قَبْل تَعَرُّضها لِلتَّغْيِيرَات الَّتِي أَثَّرَتْ فِي بنيتها الأَساسِيَّة[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الحمادي، جلال عبد الله، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، إشراف: عباس السوسرة، جامعة تعز، اليمن، ٢٠٠٧م، ص٣١- ٣٢.

الفَصْل الأَوَّل

التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَدخَل

لِلتَّقْدِيم وَالتَّأْخير أَهَمِّيَّة وَقِيمَة كَبِيرة فِي إِثْرَاء النَّصّ الأَدَبِي فَنِيًّا وَجَمَالِيًّا، وَجَعْله أَكْثَر حَيَوِيَّة وَرُوحا؛ إِذْ يَحْدُثُ بِهما خَلْخَلَة فِي البِناء التَّرْكِيبِي يَنْتج عَنْ ذَلك عُدُول يضفي على النَّصّ الأَدبِيّ خَصَائِص وَسِمَات خَاصَّة تَضْمَنُ زِيَادَة إِيضَاح المعنى وَتَحْسِين الكَلَام، والارتقاء به جماليًّا، وَإِثَارَة المُتَلَقِّي مِنْ خِلَال التَّأَمُّل فِي التَّرْكِيب، وَإِنجَاز صُورَة قَادِرَة عَلَى التَّعْبِير عَنْ مَكْنُونَات الشَّاعِر النَّفْسِيَّة.

وَظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير لَيست بِجَدِيدَة عَلى اللِّسان العَرَبِي، فَهِيَ مُسْتَمَدَّة مِنْ الجُذُور القَدِيمَة حَتَّى عَصْرنا اليَوْم، وَهِيَ مُشْتَرَكة بَيْنَ علمي النَّحو والبلاغة، فَتَجِدُهَا فِي كُتُب النَّحْو فِي أَبْوَاب المُبْتَدَأ وَالخَبَر أَو الفِعْل وَالفَاعِل، وَتَجِدُهَا فِي كُتُب البَلَاغَة فِي أَبْوَاب المَسْنَد وَالمَسْنَد إِلَيْه.

وَالتَّقْدِيم لُغَة: مَصْدَر لِلفِعْلِ (قَدَّمَ)، وَتَدُلُّ فِي المَعَاجِم عَلَى الأَسْبَقِيَّة، أي وَضْع الشَّيء فِي المُقَدَّمَة. أَمّا التَّأْخِير: مَصْدَر لِلفِعْل (أَخَّرَ)، ويعني وَضْع الشَّيء فِي المُؤَخّرة، وعلى ذَلِك التَّقْدِيم ضِدّ التَّأْخِير، وَقَدْ يَحْدثُ هَذَا التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير لِأَسْبَاب نَحْوِيَّة أَو بَلَاغِيَّة أَو غَيْر ذَلِك.

وَلَقَدْ جَاءَ القَدَم والقدمة: السَّابِقَة فِي الأَمْر، وَالقدم: المُضِيّ. وَأَخَّرْته فَتَأَخَّرَ، وَاسْتَأْخَرَ كَتَأَخُّر[1]. وَجَاءَ فِي كِتَاب الله تَعَالَى:**{وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدَمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأخرين}**[2]، وَالمُرَاد بِالمُستَقدِمينَ فِي الآيَة الكَرِيمَة مَنْ تَقَدّم عَلَى غَيْره، وَالمُرَاد بِالمُستَأخرينَ مَنْ تَأَخُّر عَنْ غَيْره، وَهَذَا يَدُلُّ عَلى أَنَّ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فِي اللُّغَة مُتَنَاقِضَانِ؛ فَالأَوَّل مُتَقَدِّم عَلَى الآخَر فِي البِنَاءِ التَّرْكِيبِيِّ لِلجُمْلَة.

---

(١) ينظر: منظور، جمال الدين، لسان العرب مادة قدم ومادة أخر.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية٢٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وَيُمكِن تَحْدِيد مَفْهُوم التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير اصطلاحًا فِي نَظْم الكَلام وَتَأْلِيفه بِأَنَّه تَبَادُل فِي مَوَاقِع الكَلِمَات بِحَيْث تترك الكَلِمَة مَكَانها فِي المُقَدِّمَة، لِتحلّ مَحَلها كَلِمَة أُخْرَى، وَذَلِكَ لِتُؤَدِّي غَرَضًا بلاغيًا مَا كَانَتْ لِتُؤَدِّيه لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ فِي مَكَانها المُحَدَّد الَّذِي اِقْتَضَتْهُ قَاعِدَة الاِنْضِبَاط اللُّغَوِيّ[١]، وَلِهَذَا فَإِنَّ ظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير تُعدُّ دَلِيلًا عَلَى لِيَاقَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَمُرُونَتِهَا، وَالحُرِّيَّةِ فِي تَغْيِيرِ صِيَاغَةِ الجُمْلَةِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الرُّتْبَةِ.

وَقَدْ اعْتَنَى القُدَمَاءُ وَالمُحَدثُونَ بِظَاهِرَةِ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِيرِ وفق القَوَاعِد التي رَسَمُوهَا من أَجل تَشْكِيل المَعْنى الذِّهْنِي بِصُورَة سَلِيمَة، فَأغلب كُتب اللُّغَة وَالنَّحْو فِيهَا كَلَام يَطول أَو يَقْصُر عَنْهَا لِما لَهَا مِنْ أَثَر فِي تَرْكِيب الجُمْلَة العَرَبِيَّة فِي النَّصّ، وَإِحْدَاث تَنَوُّع دلَالِي كَبِير؛ إِذْ تَدْخُلُ عَلَى الجُمْلَةالعَرَبِيَّة فتعطيها تَركيب آخَر غَير التَّرْكِيب المَأْلُوف وَيَتَنَاسَب مَع المَعْنى الَّذِي يُرِيدُ الشَّاعِر إِيصَاله إِلى المُتَلَقَّي، وَلِأَنَّهَا تُؤَثِرُ فِي المُتَلَقَّي وَتَسْتَوْقِفُهُ لِلتَّأَمُّل وَالتَّفَكُّر فِي جَمَالِيَّة التَّعْبِير وَلُطْف الصِّيَاغَة.

وَمِن القُدَمَاء الَّذِينَ تَنَاوَلُوا ظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فِي دِرَاسَاتِهِمْ سِيبَوَيه الَّذِي تَحْدّثَ عَنْهَا بِإِشَارَات مُتَفَرِّقَة فِي الأَبْوَاب النَّحْوِيَّة[٢]، وابن جني فِي بَاب مَا يُسَمّى بـ"شَجَاعَة العَرَبِيَّة" حَيْث خَصَّصَ قِسْمًا خَاصًّا من كتابه لِلحَدِيث عَنْ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير[٣]، وخَصَّصَ الجرجاني بَابًا قَدَّمَ فِيه دِرَاسَة قَيِّمَة عَنْ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير[٤]، والزركشي تَنَاوَلَ أُسْلُوبالتَّقْدِيم وَالتَّأْخِير بِالشَّرْح وَالتَّفْصِيل حَيْث

(١) ينظر: سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٨م، ص١٣٨.
(٢) ينظر: سيويه، الكتاب، ج١، ص٨١.
(٣) ينظر: ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٨٢- ٣٩٠.
(٤) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٦- ١٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَال عَنه: "هُوَ أَحَد أَسَالِيب البَلَاغَة، فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِهِ دَلَالَة عَلَى تَمَكنهم مِنْ الفَصَاحَة، وَمَلَكَتهم فِي الكَلَام"[١]، وَتَنَاوَلَ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير أَيْضًا فِي دِرَاسَاتِهِمْ القَزْوِينِي[٢] والزَمخشَرِي[٣].

وَهَذَا الأَثَر لَهُ فَوَائِد كَثِيرَة وَجَمَّة تُعَبِّرُ عَنْ مَدى مُرونَة اللُّغَة العَرَبِيَّة وَسعِيهَا إِلى تَحْصِيل الجَمَال وَدَورِها فِي إِيضَاح المَعْنَى وَإِضْفَاء الرُّوح وَالحَيَاة إلى النَّصّ، وَهَذَا مَا أَكَّدَه عَبد القَاهِر الجرجاني فِي كِتَابه "دَلَائِل الإعجاز"، حَيْث عَقد فَصلا كَامِلا عَن التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، يَقُول فِيه: "هُوَ بَابٌ كَثِيرُ الفَوَائِد، جَمُّ المَحَاسِن، وَاسِعُ التَّصَرُّف، بَعِيدُ الغَايَة، لَا يَزَالُ يَفتَرُّ لَكَ عَنْ بَدِيعَة، ويفضي بك إلى لطيفَة، وَلَا تَزَالُ تَرَى شِعْرًا يروقكَ مَسْمَعُهُ، وَيلطفُ لَدَيْك مَوْقِعُهُ، ثمّ تَنظر فَتَجِدُ سببَ أَنْ راقك وَلطف عِنْدَك، أَن قدم فِيه شيء، وحُوَّل اللَّفْظعَنْ مَكَان إلى مَكَان"[٤].

وَيَتَّضِحُ لي مِنْ كَلَام الجرجاني أَنَّ هُنَاك إِشَارَات مُهِمَّة إِلَى نَظَرِيَّة مِنْ النَّظَرِيَّات الَّتِي نَالَتْ اِهْتِمَامًا فِي دِرَاسَات البَاحِثِينَ أَلَا وَهِيَ نَظَرِيَّة المُتَلَقِّي، وَهَذِه الإِشَارَات تِسْع هِيَ: (يَفْتَر لَكَ، يفضي بِكَ، تَرَى، يروقُكَ، ويلطف لديك، تنظر، تَجِدُ، راقك، لطف عندك)، فَهُوَ يُؤَكِّدُ عَلى أَنَّ المُتَلَقِّي هُوَ المَقْصُود مِنْ هَذَا الكَلَام وَإِلَيْه يُوَجَّه الحَدِيث، لِأَنَّ تَأْثِير التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير يَشْعُرُ بِهِ هُوَ لَا المُبْدِع؛ إِذْ يُوَظِّفُ خِبْرَته اللُّغَوِيَّة مُسْتَكْشِفًا العَلَاقَات بَيْنَ الدوال وَمَدْلُولَاتها حَتَّى يَتَوَصَّل إِلَى غَايَة المُبْدِع وَمَقْصَده.

وَإِنَّ لِظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير فَائِدَة مُهِمَّة وَسِمَة أُسْلُوبِيَّة فِي المُوسِيقَى الشِّعْرِيَّةِ، وَلَهَا أَثَر عَظِيم فِي بِنَاء التَّرَاكِيب وَصِيَاغَة العِبَارَات وَالجُمَل؛ إِذْ إِنَّهَا تُسَاهم فِي البِنَاءِ المُوسِيقِيِّ لِلجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ،

---

(١) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص٢٣٣.

(٢) القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، وضّح حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٤.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٣.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتنظم الأَلْفَاظ متآلفة فِي أَصْوَاتِهَا وَدَلَالَاتِهَا، وَهَذَا مَا تَنَبّه النُّقَّاد العَرَب إِلَيه من أَنَّ الإِيقَاع المُوسِيقِي قَدْ يَنجِمُ عَنْ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، وَأَدْرَكُوا أَنَّ ذَلِك وَسِيلَة مِنْ الوَسَائِل الَّتِي يَلْجَأ إِلَيْهَا المُبْدِع ليبرز مَا خَفِيَمِنْ أَسْرَار بَلَاغِيَّة وَمَزَايَا تَعْبِيرِيَّة، وَلِيكسب نَصَّه جَمَالًا وَإِيقَاعًا وَرَوْعَةً وَجَاذِبِيَّةً تَتَحَرَّكُ لَهَا النُّفُوسُ، وَيَكُونُ تَحْقِيق ذَلِك بِوَضْع اللَّفْظَة فِي المَكَان المُنَاسِب، بِحَيْث تَلْتَحِم الكَلِمَة بِالأُخْرَى ليكسب الكَلَام بَعْضه بَعْضًا قِيمَة جَمَالِيَّة[1].

وَالتَّرْكِيب اللُّغَوِي فِي التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير يُخَالِفُ عَنَاصِر التَّرْكِيب الأَصْلِي فِي السِّيَاق، وَيُمَثِّلُ اِخْتِرَاقًا لِلبِنْيَة العَمِيقَة، وَتَوَافقًا لِلبِنْيَة السَّطْحِيَّة الَّتِي تَتَمَاشَى مَعَ الحَرَكَة الذِّهْنِيَّة عِنْدَ المُبْدِعِ، كَمَا أَنَّهُ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِه دَلَالَات لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَة فِي الأَصْل إِلَّا فِي نَفْس المُبْدِع، لِذَلِكَ فَإِنَّ المُوَازَنَة بَيْنَ التَّرْكِيب النَّحْوِي المُسْتَنَد إِلَى قَوَاعِدِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ، وَالتَّرْكِيب الأدبِي المستند إِلَى اللُّغَةِ الفَنِّيَّةِ الَّتِي تتكئ عَلَى كَسْرِ القَوَاعِدِ تُوضحُ مَدَى العُدُول بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ، فَالدَّلَالَاتُ الأَدَبِيَّةُ تُكْسِبُ التَّعْبِير المَعَانِي البَلَاغِيَّة وَالجَمَالِيَّة؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ "التَّعْبِير الأَدَبِيّ لَمَّا كَانَ يَوَدُّ الإِبَانَة عَنْ دَاخِلِهِ الإِنْفِعَالِيِّ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَنْ يَسْتَثْمِرَ خَصَائِص التَّرْكِيب اللُّغَوِيّ لِيُنْشِئَ بِنَاءً لُغَوِيًّا لَهُ نَسَقه الجَمَالِيّ وَتَرْكِيبه اللُّغَوِيّ الخَاصّ"[2]، عَلَى العَكْس مِنْ التَّعْبِير النَّحْوِي الَّذِي يَخْلُو تَرْكِيبًا مِنْ كُلِّ مِيزَةٍ جَمَالِيَّةٍ أَوْ فَنِّيَّةٍ؛ إِذْ إِنَّهُ مُحَدَّدٌ بِقَوَاعِدَ وَقَوَانِينَ لَا يَسْتَطِيع المرء التَّمَرُّد عَلَيْهَا وَكَسرها بِمَا يَتَوَافَق مَعَ نَفْسِيَّتِهِ وَعَوَاطِفه، فَكَانَ عَلَيه الإِلْتِزَام وَالتَّقَيُّد ضِمْن الدَّائِرَة المِعْيَارِيَّة.

وَيَخْضَع التَّرْكِيب مِنْ حَيْث تَرْتِيب كَلِمَاته إِلى نَمَطٍ يَتْبَعُ حَرَكَة الإِعْرَاب الَّتِي مِنْ شَأْنها ضَبَط المَعَانِي، وَتَرْتِيبها وَفْق النَّسَق الَّذِي أَقَرَّه النَّحْو، مِثْل أَنْ يَكُون حَقّ المَسْنَد إِلَيْه التَّقَدُّم، وَلَا مُقْتَضى

(١) ينظر: ناصر ساهر حسين، محمد، إبراهيم صبر، القيم الجمالية للتقديم والتأخير في شعر أبي الطيب المتنبي دراسة في أسباب تقديم المفعول به على الفاعل، مجلة آداب ذي قار، مج١، ع٢، كانون الأول، ٢٠١٠م، ص١١٥.

(٢) عيد، رجاء، لغة الشعر، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٨٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِلعُدُول عَنْ تَقْدِيمِهِ إِلَّا لِأَغْرَاض حَصرَتْ القَوَاعِد مَجَالَاتها، وَمِنْ هُنَا أَضْحى مِنْ حَقّ المُبْتَدَأ التَّقَدُّم عَلَى الخَبَر وَالفِعْل عَلَى الفَاعِل وَالمَفْعُول، وَالمَوْصُوف عَلَى الصِّفَة، غَيْر أَنَّ مَجَالَات الإِسْتِخْدَام الأَدَبِي لِلُغَة كَثِيرًا مَا تَخْتَرِقُ هَذَا النِّظَام لِأَغْرَاض نَفْسِيَّة وَبَلَاغِيَّة كالتشويق والتفاؤل والتلذذ[١]،وَهَذَا مَا أَكَّدَه عَبْد القَاهِر الجرجاني بقوله: "إِنَّمَا يَكُون تَقْدِيم الشَّيء عَلَى الشَّيء نسقًا وَتَرْتِيبًا، إِذَا كَانَ ذَلِكَ التَّقْدِيم قَدْ كَانَ لِمُوجِب أَوْجَب أَنْ يُقَدّمَ هَذَا وَيُؤَخّر ذَاك، فَأَمّا أَنْ يَكُون مَع عَدَم المُوجِب نسقًا فمحال، لِأَنَّه لَوْ كَان يَكُونتَقْدِيم اللَّفْظ عَلَى اللَّفْظ مِنْ غَيْر أَنْ يَكُون لَه مُوجِب نسقًا لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُون تَوَالِي الأَلْفَاظ فِي النّطْق عَلَى أَي وَجه كَانَ نسقًا"[٢]، أي أَنَّ التَّقْدِيم أَو التَّأْخِير إِلَّا لِغَرَض فِي نَفْس المُتَكَلِّم وَقَدْ أَشَار إِلَى ذَلِك سِيبَوَيْه بقولهِ: "إِنَّ العَرَب يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانه أَهَم لهم وَهم بِبَيَانه أَعْنَى"[٣].

وَحَتَّى يَتمكن المُتَلَقِّي مِنْ مَعْرِفَة نِسْبَة العُدُولالفَنِّي عَنْ الأَصْل اللُّغَوِي، عَلَيه أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهَذَا الأَصْل، وَذَلِك لِأَنَّ "مَعْرِفَة أَصِل المَعْنَى تَبْدُو مُهِمَّة بِالنسبة للبلاغي فِي ظِلّ الكَلَام عَنْ الكيفيات الَّتِي يُطَابِقُ بِهَا اللَّفْظ مُقْتَضَى الحَال، لِأَنَّهُ مِنْ خِلَالها يَسْتَطِيعُ الكَشْف عَنْ المَزَايَا الفَنِّيَّة فِي التَّرْكِيب، وَبِالتالي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَدِّدَ مُوَاطِن الصَّوَاب أو الخَطَأ البَلَاغِي، وَفْق مَا تمليه نَظَرِيَّة مُطَابِقَة الكَلام لِمُقْتَضى الحَال"[٤].

وَقَدْ عنى النَّحْوِيُّونَ بِالرُّتَب المَحْفُوظَة (الَّتِي لَمْ يلحقْهَا تَقْدِيم أَو تَأْخِير)، فِي حِين اهتمَّ البَلَاغِيُّونَ بِالرُّتَب غَيْر المَحْفُوظَة (الَّتِي يلحقُهَا تَقْدِيم أَو تَأْخِير)، وَأَوْلَوْهَا عِنَايَة كَبِيرَة، وَهَذَا يدلُّ

---

(١) ينظر: محمد، أحمد علي، الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني، مجلة جامعة دمشق، مج١٩، ع٣- ٤، ٢٠٠٣م، ص٨١. نقلا عن: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢٧٢.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٢٩٦.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج١، ص٣٤.

(٤) الربيعي، حامد صالح، مقاييس البلاغية بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م، ص٥٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَى وَعْي البَلَاغِيِّينَ بِوُجُود مُسْتَوى مُنْحَرِف عَنْ المُسْتَوَى العَادِيّ لِلُغَة، وَفَهمهم أَنَّ هَذَا المُسْتَوَى المُنْحَرِف الَّذِي يَقُومُ عَلَى انْتِهَاك المُتَعارَف عَلَيه مِنْ النّظم اللُّغَوِيَّة ذُو أَغْرَاض وَغَايَات، يَهْدِفُ إِلَيها المُنْشئ مِنْ خِلَال خَرقه لِلسُّنَن اللّغَوِيَّة، لِذَلِكَ فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّه لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْجَأ المُبْدِع إِلَى التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير إِذَا كَانَ اِسْتِخْدَامهما يُفْسِدُ المَعْنَى بِحَيث يَختَل الكَلَام وَتَضْطَرِب العِبَارة، وَلَا يَلْجَأ إِلَيه إِلَّا إِذَا اِضْطَرَّ إِلَى تَقْدِيم لَفْظَة أَو تَأْخِيرها، وَيَكون إِمّا لِضَرُورَة وَزْن وَقَافِيَة وَهُوَ أَعْذَر، وَإِمّا لِيدلّ عَلَى أَنَّهُ يعلم تَصْرِيف الكَلَام وَيَقْدر عَلَى تَعْقِيده، وَهَذَا هُوَ الغيّ بِعَيْنه[1].

وَقَدْ اهْتمَّ البَلَاغِيُّونَ بِهَذَا النَّوْع مِنْ العُدُول مِنْ أَجْل الكَشْف عَنْ القِيَم الجَمَالِيَّة وَالفَنِّيَّة الَّتِي تضفي رَوْنَقًا عَلَى النَّصّ الأَدَبِيّ مِنْ خِلَال التَّفَنُّن فِي تَرَاكِيب الجُمْلَة المِعْيَارِيَّة، وَفِي نَفْسه هَذَا لا يعني أَنْ يَتَجَرّأ المُبْدِع عَلَى اللّغَة المِعْيَارِيَّة وَيَسطُو عَلَيْهَا مِنْ خِلَال التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، لِأَنَّ هَذَا الأَمْر لَيْسَ مَتْرُوكًا لَهُ بَلْ حُدِّدَتْ وَظِيفَته بِطَرِيقَة تُؤَدِّي المَعْنَى بَعِيدًا عَنْ الوُقُوع فِي الخَطَأ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ مَعْنى أَنَّ البَلَاغِيِّينَ اِعْتَبَرُوا التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير نَوْعًا مِنْ العُدُول عَنْ النَّمَط المِثَالِي أَنَّ ذَلِك مَدْعاة لِأَخْذهم بِالجُوَر عَلَى النِّظَام العَامّ لِلُغَة، بَلْ إِنَّ هَذَا العُدُول يُمْكِنُ أَنْ يُمَثِّلَ نِظَامًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِسُنَن النُحاة فِي رُتَبِهِمْ المَحْفُوظَةِ[2].

وَهَذَا يعني أَنَّ اللُّغوِيينَ قَدْ حَدَّدُوا أَسْبَاب اللُّجُوء لِلتَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، بِحَيْث لَا يَكُون اللُّجُوء إِلَيْهما دُون سبب، فَهُمْ يَرْفُضُونَ ذَلِك لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلى اِخْتِلَال نظم الكَلَام، غَير أَنَّ المُبْدِع لا يَرُوقه هَذَا التحديد، فَهُوَ لَا يَكْتَفِي بِالوُقُوف عِنْدَ الرُّتَب المَحْفُوظَة بَلْ يَتَعَدَّاهَا إِلَى التَّصَرُّف فِي الرُّتَب المَحْفُوظَة، وَذَلِكَ لِيخلق صُورَة فَنِّيَّة مُتَمَيِّزَة، فَالتَّرْكِيبُ الجَدِيدُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ المُبْدِع بعدولاته عَنْ

(١) ينظر: سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص٣٠.

(٢) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٣٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النَّمَط المَأْلُوف يُحَدثُ للمتلقي مُفَاجَأَة وَدَهْشَة، فبالرّغم مِنْ إِدْرَاك البَلَاغِيّينَ أَنَّ اللُّغَة العَرَبِيَّة تَتَمَيَّزُ بِعَدَم حَتْمِيَّة تَرْتِيب أَجْزَاء الجُمْلَة نَجْدهم يَفْتَرِضُونَ أَصْلَاً فِي التَّرْكِيب يُقَاسُ إِلَيه العُدُول(١).

وَيَرَى محمد عَبد المُطَّلِب أَنَّ أَسْبَاب التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير الَّتِي ذَكَرَهَا النحاةُ وَالمُفَسِّرُونَ وَالبَلَاغِيُّونَ تَتَرَكَّزُ عَلَى اِعْتِبَارَات يَعُودُ بَعْضها إِلَى المُبْدِعِ وَحَرَكَته الذِّهْنِيَّة، وَيَعُودُ بَعْضها إِلَى المُتَلَقِّي وَاِحْتِيَاجَاته الدَّلَالِيَّة، ويخلص بَعْضها الثَّالِث لِلصِّيَاغَة ذَاتها عَلَى مَعْنى أَنَّهُ مِنْ طَبِيعَتها المِثَالِيَّة – إِذَا كَانَ الأَصْل التَّقْدِيم وَلَا مُقْتَضى لِلعُدُول عَنْه –إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ اِسْتِبْعَاد الأَسْبَاب الَّتِي تَعُودُ إِلى الحِفَاظ عَلَى الأَصْل المِثَالِي لِلصِّيَاغَة مِنْ الدَّائِرَة الجَمَالِيَّة، لِأَنَّهَا لَا تَتْرُكُ لِلمُبْدِع حُرِّيَّة الإِخْتِيَار الإِبْدَاعِي، وَتَحْقِيق الحسن وَالمَزِيَّة، وَلَا تُوَفِّرُ للمتلقي إِمْكَانِيَّة التَّفَاعُل التأويلي مَع الصِّيَاغَة(٢).

فالمتتبع لِأَغْرَاض التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير يَجِدُ أَنَّهَا تَعَدَّدَتْ تعدداً كَبِير عِنْدَ الدَّارِسِينَ وَتَنَوَّعَتْ مِنْ نَصٍّ أَدَبِيٍّ لِآخَرَ بِحسب المَقَام، إِلَّا أَنَّهُمْ اِتَّفَقُوا عَلَى الأَغْرَاض الرَّئِيسِة، كَالعِنَايَة وَالاِهْتِمَام، وَالإِفْتِخَار، وَالاِخْتِصَاص، وَالتَّأْكِيد، وَالتَّفَاؤُل وَالتَّشَاؤُم، والتشويق، وَغَيْرها وَكُلّهَا تَتَمَاشَى مَع المُرُونَة وَالاِتِّسَاع الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي هَذِه الظَّاهِرَة.

وَبناء عَلَى مَا سبق يُمْكِنُ القَوْل إِنَّ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير ظَاهِرَة أُسْلُوبِيَّة، تَخْتَرِقُ النِّظَام المِعْيَارِيّ لِعَنَاصِر الجُمْلَة، وتَعْدِلُ عَنْه إِلَى النِّظَام الفَنِّيّمِنْ خِلَال تَشْوِيش تَرْتِيب الكَلِمَات؛ إِذْ تَقَعُ الكَلِمَة فِي مَكَان غَير مَكَانها الأَصْلِي بِحَيث تُخَالِفُ النِّظَام اللُّغَوِيّ النَّحْوِيّ، وَتُحدِثُ تَأْثِيرًا دلاليًا حَسب مَا يَقْتَضِيه المُبْدِع، وَهِي "مِنْ الوَسَائِل البَلَاغِيَّة الَّتِي أَخْرَجَهَا بِهَا المُبْدِع اللُّغَة مِنْ مُبَاشَرَتها ونفعيتها إِلَى الإِبْدَاعِيَّة غَير المَأْلُوفَة، بِتَجَاوُز المَعْنَى الأَوَّل إِلَى الدَّلَالَة الثَّانِيَة، عَنْ طَرِيق التَّحَرُّك الأُفُقِيّ

(١) ينظر: فوغالي، وهيبه، الانزياح في شعر سميح القاسم "قصيدة عجائب قانا الجديدة" أنموذجاً – دراسة أسلوبية– ، إشراف: محمد الهادي، الجزائر، ص١٠٠.

(٢) ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الَّذِي يخرقُ فِيه المُبْدِع بِالتَّقَدُّم أَو التَّرَاجُع بِالصِّيَاغَة تِلْك الرُّتَب المَحْفُوظَة الَّتِي خَلَّفَهَا النحاة"[1]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَة ضَرْب مِنْ العُدُول عَنْ النِّظَام النَّحْوِي.

وَلِكَي لَا نَنْسَاق وَرَاء الحَدِيث النَّظَرِيّ عَنْ جَمَالِيَّات التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، وَأَثَره فِي المُتَلَقِّي، فَإِنَّنَا نَخْلُصُ إِلَى القَوْل إِنَّ ظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير سِمَة بَارَّة فِي النُّصُوص الأَدَبِيَّة، وَإِذَا كَانَتْ أَهَمِّيَّتها قَدْ بَرَزَتْ فِي كَلَام الكُتَّاب وَالشُّعرَاء، فَإِنَّنَا نَجدُ هَذِه الأَهَمِّيَّة تَعظم فِي كَلَام اللّه تَعَالَى، فَمَا قُدِّم لَفْظ فيه أَو أُخِّرَ إِلَّا لِغَرَض بَلَاغِي، وَحِكمة بَالِغَة، وَفِطْنَة أُسْلُوبِيَّة جَاذِبِيَّة، فَكَأَنَّ المَعْنَى يَقْتَضِي مَا تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخُّر اِقْتِضَاء طَبِيعيّا لِلتَّأْثِير فِي نَفس المُتَلَقّي، وَهَذَا يعني أَنَّ تَرْتِيب الكَلِمَات فِي النَّصّ القُرْآنِي لا يَرِد اعتِبَاطا وَإِنَّمَا يَعْكِسُ تَرْتِيب المَعَانِي فِي النَّفْس[2].

وَإِذَا عُدْنَا إِلَى شِعْر حَيْدَر مَحْمُود لِوَجْدِنَا أَنَّ ظَاهِرَةالتَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَارِدَة وَبِكَثْرَة فِي نَمَاذِج مُتَنَوِّعَة مِنْ شِعْره، لِذَلِكَ سَوْفَ أُرَكِّزُ عَلَى صُور التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير الَّتِي تَعْدِلُ فِيهَا البِنْيَة السَّطْحِيَّة عَنْ مُقْتَضَى البِنْيَة العَمِيقَة، وَجَعلها نِظَامًا وَأُسْلُوبًا جَدِيدًا لِلتَّعْبِير عَنْ الطَّاقَات وَالقُدْرَات، وَفِي مَا يَلِي بَيَان لِهَذِه الصُّوَر.

- **الجُمْلَة الاسمِيَّة:**

الأَصْلُ فِي تَرْتِيب عَنَاصِرِ الجُمْلَة الاِسْمِيَّة عِنْد النحاة أَنْ يَتَقَدَّم المُبْتَدَأ وَإِلَيْهُ يُسْنَدُ الخَبَر؛ وَذَلِك لِأَنَّ المُبْتَدَأ هُوَ المَقْصُود بِالكَلَام وَهُوَ المَنَوِيّ الإِخْبَار عَنه لِأَنَّه المَحْكُوم عَلَيه، أَمّا الخَبَر فَهُوَ الحكم عَلَى المُبْتَدَأ وَوَصف لَهُ، إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّرْتِيب لَيْسَ ثَابِتًا فِي جَمِيع الجُمَل الاِسْمِيَّة؛ إِذْ قَدْ يَتَقَدَّم الخَبَر وَيَتَأَخَّرُ المُبْتَدَأ لِأَغْرَاض بَلَاغِيَّة اِقْتَضَاهَا النَّصّ الأَدَبِيُّ، فَتَكُون البِنْيَة السَّطْحِيَّة

(١) محفوظ، هشام، الخطاب الشعري في الستينات – دراسة أسلوبية وتحليلية، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧٩.

(٢) ينظر: الخرشة، أحمد غالب، أسلوبية الانزياح في النَّص القرآني، ص١٤٠– ١٤١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هِيَ الصِّيَاغَة الَّتِي يَسْتَطِيع المُبْدِع التَّعْبِير عَمّا مَا يَجُول فِي خَاطِرة وَإِنْ كَانَتْ مُخَالِفَة لِلأَصْل اللُّغَوِي فِي البِنْيَة العَمِيقَة.

١ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المُبْتَدَأ

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب فِي شِعْرِ حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَته (يَا دَارَ عَبْد الله)...

"يَا دَارَ عَبْد الله، عامِرةٌ

دَوْمًا، وَفِيكِ الشَّمْلُ مُجْتَمِعُ"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوالآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

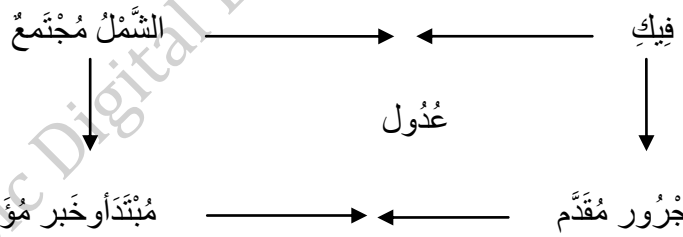

البِنْيَة العَمِيقَة:

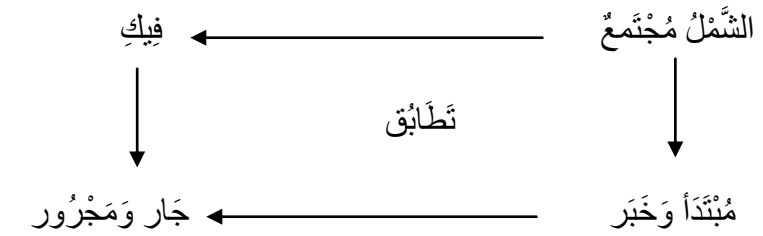

فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِر فِي الشَّطْر الثَّانِي الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْله: (فِيكِ)، عَلَى المُبْتَدَأ فِي قَوْله: (الشَّمْلُ مُجْتَمِعُ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر لِلتَّرْكِيب اللُّغَوِي المِثَالِيّ أَنْ يُقَال: (الشَّمْلُ مُجْتَمِع فِيكِ)، إِلَّا

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص٦٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أَنَّ الشَّاعِر اِضْطَرَّ إِلَى تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المُبْتَدَأ لِأَمْرَيْنِ: أَوْلهما لِغَايَةٍ بَلَاغِيَّةٍ وُهِيَ الاِهْتِمَام وَالعِنَايَة بِأَمْرِ المُتَقَدِّمِ؛ حَيث وَجَّهَ اِهْتِمَامه لِدَارِ عَبْد الله كَوْنها تَجْمَع شَمْل المُتَشَتتينَ وَالمُتَفَرِّقِينَ، وَثَانِيهما لِغَايَةٍ عروضيةٍ وَهِيَ اِسْتِقَامَة وَزْن البَيْت؛ فَلَوْ قَدَّمَ المُبْتَدَأ عَلَى الجَار وَالمَجْرُور لِأَخْتَلَّ وَزَن البَيْت وَتَفْعِيلَاته، فَالبَيْتُ الشِّعْرِيّ عَلَى وَزْن بَحْر السَّرِيع.

وَجَاءَ تَقْطِيع البَيْت عَلَى النَّحْوِ الآتي:

- - ب -/ - ب ب -/ ب ب - - - ب -/ - - ب -/ ب ب –

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

وفيك الشّملُ مجتمع (عُدُول)

- - - - ب – ب ب ب - -

والشّملُ مجتمع فيكِ (أصل)

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَته (الشَّاهِد الأَخِير):

"هَبَّ مِنْ جنباتها..

مُراءٍ..

وَفِي ذَرَّاتِهِ الحِقْدُ رَاقِدُ"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوالآتي:

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

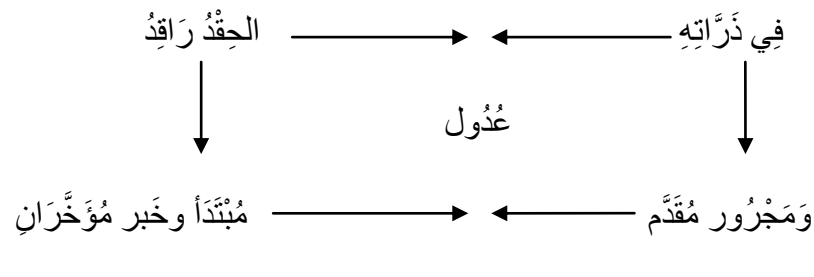

البِنْيَة العَمِيقَة:

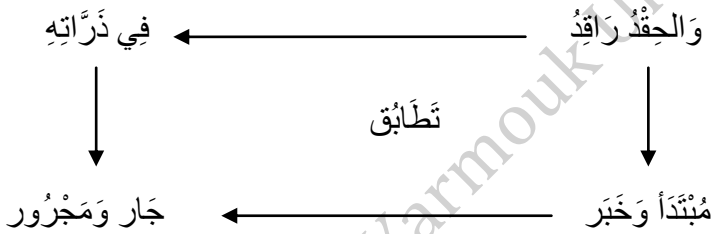

عَدَلَ حَيْدَر مَحْمُود عَنْ تَقْدِيم المُبْتَدَأُ عَلَى الجَار وَالمَجْرُور إِلَى تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المُبْتَدَأ، حَيث قَدَّمَ الشَّاعِرُ فِي السَّطْرِ الأَوَّلِ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (فِي ذَرَاتِه) عَلَى المُبْتَدَأ فِي قَوْلِهِ: (الحِقْدُ رَاقِدُ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر فِي تَرْتِيب عَنَاصِر الجُمْلَة أَنْ يُقَالَ: (الحِقْدُ رَاقِدُ فِي ذَرَّاتِه)، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المُبْتَدَأ رَغْبَة فِي تَأْكِيده عَلَى المَكَانِ الَّذِي تُفَسِّره (فِي) وَهِيَ حَرْف جَرّ دَال عَلَى الظَّرْفِيَّةِ المكانية، وَهَذَا مَا أَدَّى بِالشَّاعِرِ إِلَى إِحْدَاث عُدُول فِي بِنَاء الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة.

٢ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى الخَبَر

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَته (شَجَرُ الدّفلى يُغَنِّي...):

"عَلَى عُيُون النّشامى.. يسهرُ القَمَرُ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَاللَّيْلُ بِالحَدَقَاتِ السُّودِ، مؤتزرُ..."[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوالآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

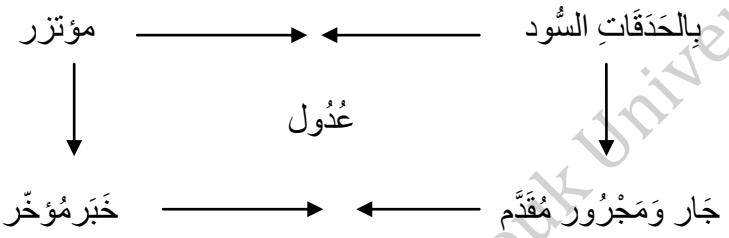

البِنْيَة العَمِيقَة:

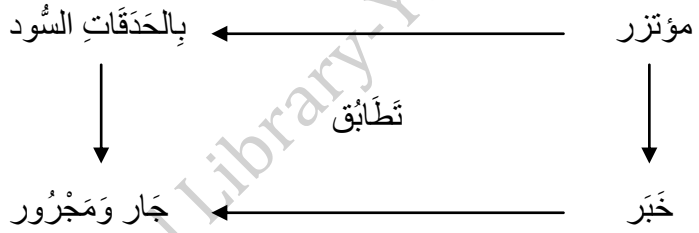

فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِر فِي الشَّطْرِ الثَّانِي الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِه: (بِالحَدَقَاتِ السُّود)، عَلَى الخَبَر فِي قَوْلِهِ: (مؤتزرُ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر لِلبِنْيَةِ العَمِيقَة فِي التَّرْكِيب أَنْ يُقَالَ: (مؤتزر بِالحَدَقَاتِ السُّود)، وَيُشَكِّلُ هَذَا العُدُول فِي التَّقْدِيم نَوَاة يَتَمَحْوَرُ حَوْلها المَعْنَى الَّذِي يخدّمُ النَّصّ، وَهو الاهتمام بعُيُون النشامى التي تَسهرُ اللَّيَالي وَتَبْقَى مُسْتَيقِظَة مِن أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ القُدْسِ خَاصَّة، وَحِمَاية فِلَسْطِين عَامَّة، وَالحُصُول عَلَى الرَّاحَةِ وَالأَمَانِ، فَبِهَذَا التَّغْيِير فِي تَرْتِيب عَنَاصِر الجُمْلَة أَضَافَ الشَّاعِر دَلَالَة خَاصَّة اِقْتَضَاهَا النَّصّ، مِمَّا أَحْدَثَ أَثَرًا جماليًا لَدَى المُتَلَقِّي.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَته (إِذَا شَدَوت...):

"العَدْلُ فِيهَا أَسَاسُ المُلْكِ..

وَهِيَ عَلَى العَهْدِ الَّذِي قطعتهُ

مِنْ أبٍ، لِأبٍ.."[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَر عَلَى النَّحْوالآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

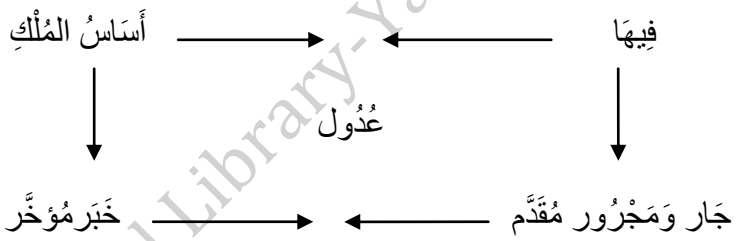

البِنْيَة العَمِيقَة:

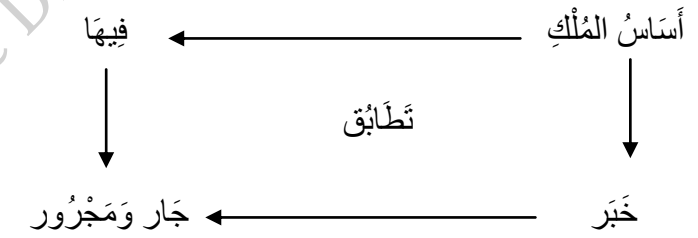

فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي السَّطْر الأَوَّل فِي قَوْلِهِ: (فِيهَا)، عَلَى الخَبَر فِي قَوْلِهِ: (أَسَاسُ المُلْكِ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (أَسَاسُ المُلْكِ فِيهَا)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور عَلَى الخَبَرلتخصيص المَكَان الَّذِي بِهِ العَدْل أَسَاس الحُكْم، وَهُوَ يَقْصِدُ آل بَيْت الرَّسُول، فَعُنْصُرُ المَكَان مَثَّلَ عُنْصُرًا مُهَيْمِنًا عَلَى التَّقْدِيم؛ إِذْ إِنَّهُ مِنْ أَكْثَر العَنَاصِر الشِّعرِيَّة الَّتِي تَرِد فِي التَّرَاكِيب المُخْتَلِفَة.

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص٩٠- ٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣ – تَقْدِيم خَبَر الأَفْعَال وَالحُرُوف النَّاسِخَة عَلَى أَسْمَائِها

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَته (هُنَا، كَانَ)، حَيْث قَدَّمَ خَبَر كَانَ عَلَى اسمها:

"..وَقَدْ كَانَ فَصلَ القَوْلِ

حَدُّ حسامها

وَقَدْ كَانَ.. نِبْرَاسَ اللَّيَالِي

شِهَابُهَا.."[١]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَةِ فِي اللَّفْظِيَّةِ فِي شَكْلٍ تَخْطِيطِيٍّ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

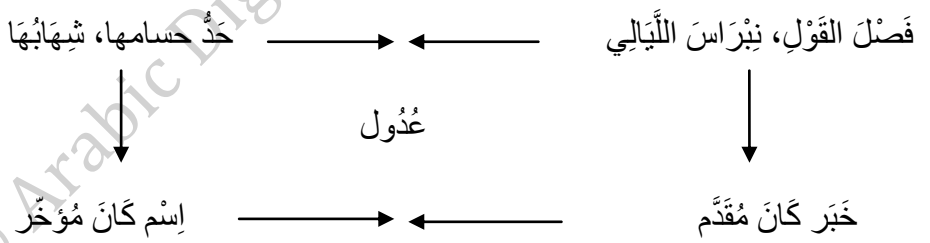

البِنْيَة العَمِيقَة:

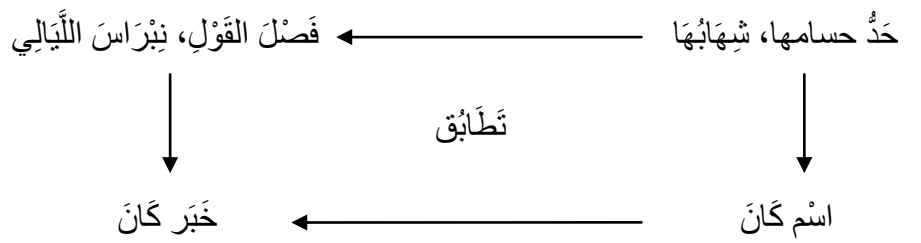

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَدَّمَ الشَّاعِرُ خَبَر كَانَ فِي السَّطْر الأَوَّل وَالثَّالِث فِي قَوْلِهِ: (فَصْلَ القَوْلِ، نِبْرَاسَ اللَّيَالِي)، عَلَى اِسْمها فِي السَّطْر الثَّانِي وَالرَّابِع فِي قَوْلِهِ: (حَدُّ حسامها، شِهَابُهَا)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَال: (كَانَ حَدُّ حسامها فَصْلَ القَوْلِ، وَكَانَ شِهَابُهَا نِبْرَاسَ اللَّيَالِي) إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ خَبَر كَانَ عَلَى اِسْمها لِغَايَات بَلَاغِيَّة هي التحسر، ذلك أنّ الشَّاعِرأَرَادَ أَنْ يشدّ ذِهْن القَارِئ إِلَيْهَا وَيُعَمِّق شُعُوره بِالمَاضِي المُشْرِق لِلمُسْلِمِينَ، وَيَجْعَلُه يَتَحَسَّر كَيْفَ أَصْبَحَ حَالهم مُقَارَنَة بِمَاضِيهم عِنْدَمَا كَانَ سَيْفُهم هُوَ الحُكْم الفَاصِل بَيْنَ الحَق وَالبَاطِل، وَكَانُوا المِصْبَاح المُضِيء لِكُلّ عَتْمَة.

وَمِنه أَيْضًا تَقْدِيم خَبَر مَا زَالَ عَلَى اِسْمِهَا فِي قَصِيدَة (فِي البَدْءِ كَانَ الوَطَن!):

"هَذِهِ الأَرْضُ لِلحَيَاةِ، وَفِيهَا

كُلُّ شَيْءٍ مُبَارَك وَمَجِيد

الحَضَارَاتُ كُلّهَا سَكَنَتْ فِيهَا،

وَمَا زَالَ فِي ثَرَاهَا المَزِيدُ"[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

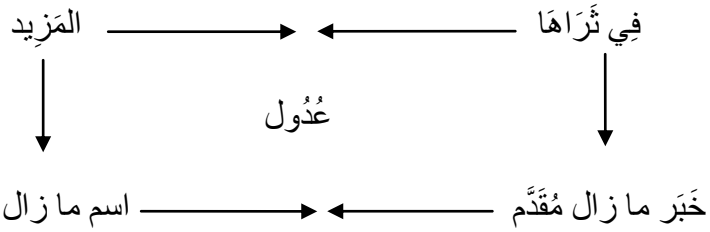

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

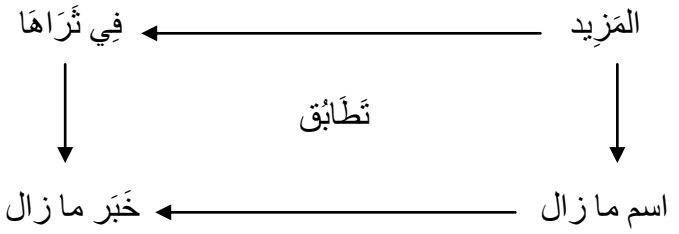

فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ فِي الشَّطْر الثَّانِي مِنْ البَيْت الثَّانِي خَبَر مَا زَالَ فِي قَوْلِهِ: (فِي ثَرَاهَا)، عَلَى اِسْمِهَا فِي قَوْلِهِ: (المَزِيد)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر لِلتَّرْكِيب اللُّغَوِي المِثَالِي أَنْ يُقَالَ: (مَا زَالَ المَزِيدُ فِي ثَرَاهَا)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ الخَبَر عَلَى الاِسْم لِغَرَض بَلاغيّ هُو العِنَاية وَالاهتِمَام مِنْ خِلال التَّأْكِيد عَلَى ثَرَاء بَلده الأُردن وَغِنَاه، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى الاسْتِمْرَارِيَّة فِي ذَلِكَ فَكَلِمَة (المَزيد) تَبعها الصَّمْت، وَلِمُرَاعَاة وَزْن البَيْت وَتَفْعِيلَاته مِنْ الإِخْتِلَالفَهُوَ عَلَى بَحْر الخَفِيف، كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِن أَنْ يَضعَ الخَبَر مَكَان الاِسْم الَّذِي يَتَنَاسَبُ صوتيًا مَعَ القَافِيَةِ السَّابِقَة (مجيد) = (المزيد) أَي د د.

٤ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى اِسْم كَانَ

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (يَا دَارَ عَبْد الله...):

"إِنْ كَانَ فِيكِ الشَّوْقُ مَعْصِيَةً

لَا تَحْسَبِي أَنّا سَنَرْتَدِعُ!"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

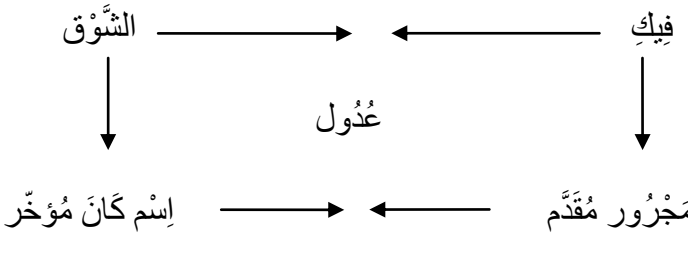

البِنْيَة العَمِيقَة:

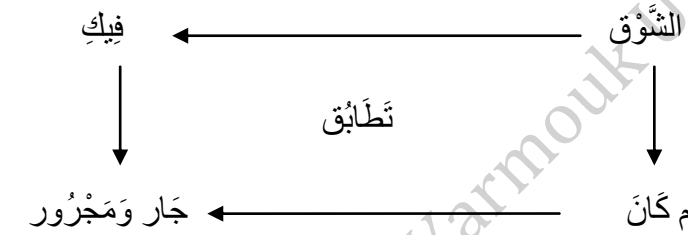

فِي هَذِه الصِّيَاغَة قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي الشَّطْر الأَوَّل مِنْ البَيْت فِي قَوْلِهِ: (فِيكِ)، عَلَى اِسْم كَانَ فِي قَوْلِهِ: (الشَّوْق)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (كَانَ الشَّوْقُ مَعْصِيةً فِيكِ)، وَقَدْ قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور لِغَرَض بلاغيّ هُوَ العِنَاية وَالاهتِمام لِأَنَّ هَذَا البَيْت جَاءَ فِي مَعْرِض حُبّ الشَّاعِر لِعَمَّان بِاعْتِبَارها المَدِينَة الَّتِي يَهْفُو لَهَا القَلْب، فَكَانَ مِنْ المُنَاسِب أَنْ يُقَدِّمَ الجَار وَالمَجْرُور الَّذِي يَحْمِلُ دَلَالَة الحُبّ وَالهِيَام لِعَمَّان، فَالشَّاعِرُ مِنْ شِدَّة حُبِّه لِعَمَّان يَقُول إِنْ كَان حُبّك يَا عَمَّان مَعْصِيَة وَخَطِيئَة سَنَبْقَى عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْ المَحَال أَنْ نَتَحَوَّلَ عَنْ حُبّكِ وَعِشْقكِ.

٥ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى خَبَر إِنَّ أَوْ أَخَوَاتها

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب اللُّغَوِيّ فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (فِي وَجْهِ عَبْد الله، أَلْمَح وَجْهَه..):

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"فَكَأَنَّهُ بِي سَاكِنٌ، وَكَأَنَّنِي

أُحْيَا بِهِ، أَوْ أَنَّنِي إِيَّاهُ!"[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

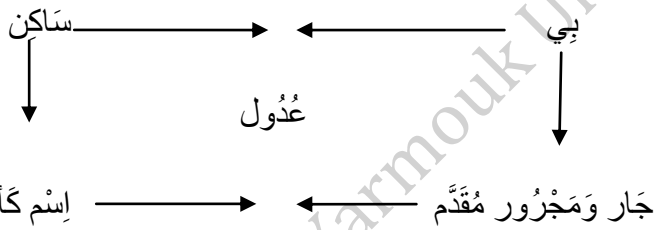

البِنْيَة العَمِيقَة:

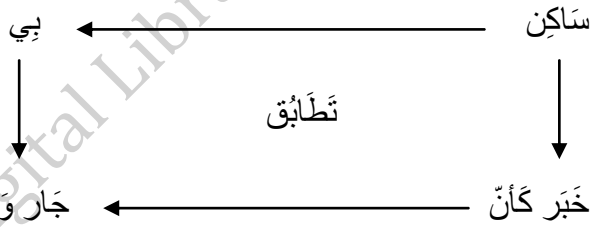

فَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (بِي)، عَلَى خَبَركَأَنَّ فِي قَوْلِهِ: (سَاكِنٌ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (فَكَأَنَّهُ سَاكِنٌ بِي)، وَهَذِا العُدُول فِي التَّرْكِيب وَتَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى الخَبَرجَاءَ لِغَرَض بلاغيّ وَهُوَ التَّشوِيق لِشَدّ ذِهْن القَارِئ وَلفت اِنْتِبَاهه إِلَى كَمِّيَّة الحُبّ الَّتِي يَحمِّلها الشَّاعِر فِي قَلْبه لِلمَلِك عَبْد الله لِدَرَجه أَنَّهُ مُنْصَهِر فِي حُبّه وُيَحْيَا بِهِ وَكَأَنَّهُ يَحْيَا لِنَفْسه، وأَنَّهُ مُتَوَحِّد مَعه فَهُمَا وَاحِد كَالمِرْآة الَّتِي تَعْكِس صُورَة الشَّخْص، رُوح وَاحِدَة وَجَسد وَاحد.

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص١١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الجُمْلَة الفِعْلِيَّة**

١ – تَقْدِيم الفَاعِل عَلَى الفِعْل

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب اللُّغَوِيّ مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (الطَّرِيقُ إِلَى القُدْسِ):

"مُسْلِمُونَ.. إِذَنْ

كَيْف؟!

والنّارُ تَأْكُلُ أَقْدَسَ أَوْطَانِكُمْ"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

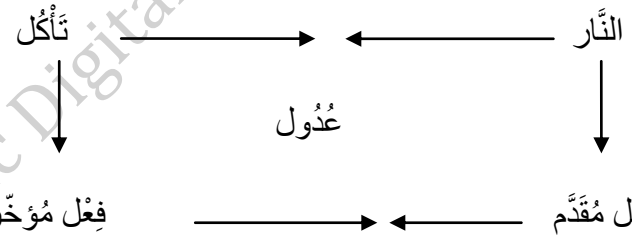

البِنْيَة العَمِيقَة:

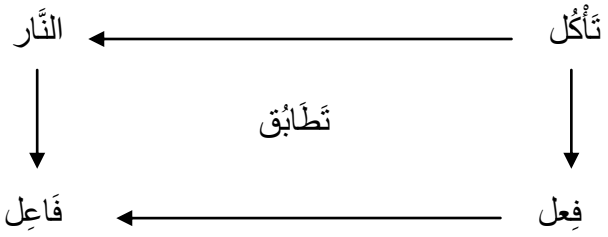

وَفِي هَذِه الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة قَدَّمَ الشَّاعِرُ الفَاعِل فِي قَوْلِهِ: (النَّار)، عَلَى الفِعْل فِي قَوْلِهِ: (تَأْكل)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (تَأْكُلُ النَّار)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرُ قَدَّمَ الفَاعِل عَلَى الفِعْل لِغَرَض بَلَاغِي

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَهُوَ التَّعْجِيل بِذِكْر البَلَاء وَالأذَى وَالمِحَن والمساءة الَّذِي أَصَابَ أَقْدَس الأَرَاضِي وَالأَوْطَان، فَدَلَالَة النَّار فِي الشِّعْر مَجَازِيَّة وَحَقِيقِيَّة، وَالشَّاعِرُ اِسْتَخْدَمَهَا هُنَا لِلدَّلَالَة عَلَى النَّار الحَقِيقِيَّة الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ الإِحْرَاق وَالتَّدْمِير، وَهِيَ نَار الأَعْدَاء الَّتِي حَبَّذَتْ أَنْ تَبْدَأ بِأَكْل أُولَى القِبْلَتَيْن لِلمُسْلِمِين وَأقدس الأَمَاكِن لَهُمْ.

وَمِنْ هَذِا التَّرْكِيب مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشِّعْر،):

"الشِّعْرُ جَاءَ إِلَيْكَ.. فَأَفْتَح بَابَكَ ال

عَالِي.. لِتَمْتَلِئ الدُنى: أَعْيَادًا"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

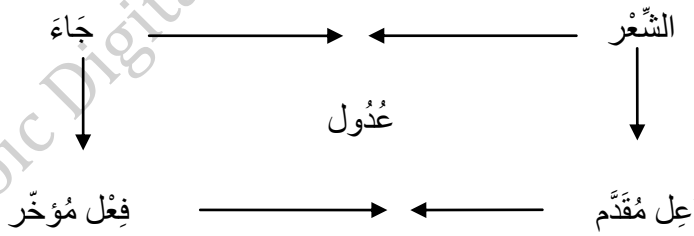

البِنْيَة العَمِيقَة:

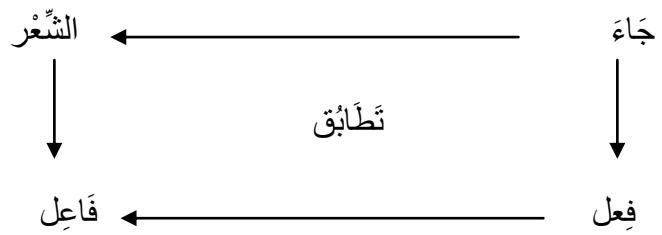

يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَال هَذَا المُخَطَّط أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ الفَاعِل فِي البِنْيَة السَّطْحِيَّة فِي قَوْلِهِ: (الشِّعْر)، عَلَى الفِعْل فِي قَوْلِهِ: (جَاءَ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (جَاءَ الشِّعْرُ)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفَاعِل عَلَى الفِعْل لِشَدّ ذِهْن القَارِئ وَلفت اِنْتِبَاهه إِلَى الَّذِي جَاءَ وَالتَّأْكِيد عَلَيْه، كَوْنه الوَحِيد الَّذِي بَقِيَ لِيَجْلِب الفَرَح وَالسَّعَادَة وَالسُّرُور، فَالشَّاعِرُ يُرِيدُ أَنْ يُبِينَ لِلقَارِئ أَنَّ الشِّعْر الوَسِيلَة الوَحِيدَة الَّتِي مِنْ خِلَالها نَصِلُ إِلَى عَرْش الإِشْرَاق وَالنُّور، وَلَمْ يَبْقَ لِلدِّفَاع عَنْ النَّفْس والتَرفية عَنْهَا شَيْئًا لَا سُيُوف وَلَا خُيُول وَلَا غَيرهما، فَلَقَدْ اِمْتَلَأَتْ الدُّنْيَا فَسَادًا وَسَفَاهَةً، وَفَضْلًا عَنْ الغَايَةِ العروضيةحَتَّى لَا يَخْتَلّ وَزَن البَيْت، فَلَوْ أَتَى بِالأَصَلِ لِأَخْتَلَّ وَزَن البَيْت وَتَفْعِيلَاته وَهُوَ عَلَى بَحْر الرَّجَز.

٢ – تَقْدِيم المَفْعُول بِه عَلَى الفَاعِل

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (الأَرْقَام!)

"لَا تَسِر فِي الشَّوَارِع

.. كِي لَا يَرَى وَجْهَك السَّائِحُونَ

الأَجَانِبُ..."[١]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

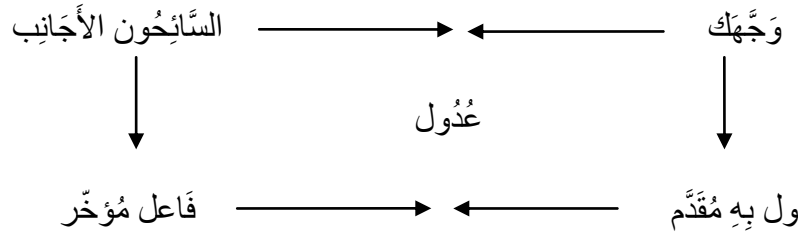

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

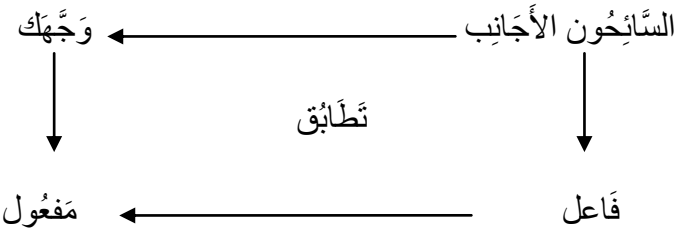

قَدَّمَ الشَّاعِرُ المَفْعُول بِهِ فِي قَوْلِهِ: (وَجَّهَك)، عَلَى الفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ: (السَّائِحُون الأَجَانِب)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (كِي لَا يَرَى السَّائِحُونَ الأَجَانِب وَجّهك)، وَهَذَا العُدُول فِي التَّعْبِير يكسب التَّرْكِيب الأَدَبِيّ جَمَالاً وَرَوْنَقًا خاصًا بِهِ، ويثير المُتَلَقِّي وَيَسْتَرْعِي اِنْتِبَاهه إِلَى التَّفْكِير فِي هَذَا الأُسْلُوب، فَالشَّاعِرُ قَدَّمَ المَفْعُول بِهِ عَلَى الفَاعِل وَذَلِكَ لِلإِشَارَة إِلَى حَالَة الضُّعْف وَالتَّرَدِّي الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا المُوَاطِن العَرَبِي، نَتِيجَة الأَنْظِمَة الَّتِي تَمْنَعه مِنْ مُمَارَسَة أَبْسَط حُقُوقه الإِنْسَانِيَّة، وَكَمَا أَنَّ الفَصْل بَيْنَ الفِعْل (لَا يَرَى) وَالمَفْعُول بِهِ (وَجّهك) يحدثُ ثِقْلًا فِي الكَلَام.

وَمِنه أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (رِسَالَةٌ مِنْ بَابِ العامود..):

"غَيْرَ أَنَّ القُدْسَ،

فِي مِحْنَتِهَا..

((طِفْلَةٌ)) تَنْهَشُ عَيْنَيْهَا الذِّئَابُ"[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص١٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

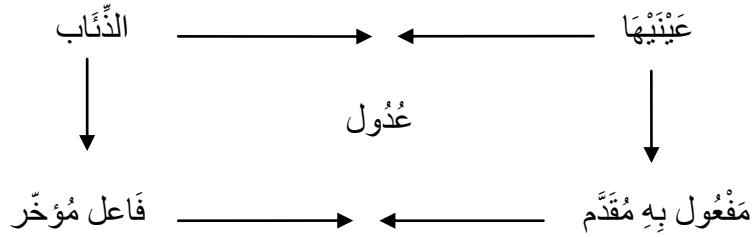

البِنْيَة العَمِيقَة:

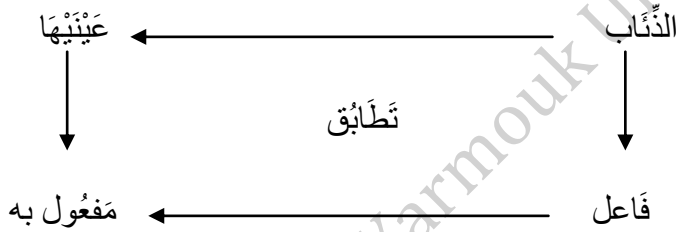

قَدَّمَ الشَّاعِرُ المَفْعُول بِهِ فِي قَوْلِهِ: (عَيْنَيْهَا)، عَلَى الفَاعِل فِي قَوْلِهِ: (الذِّئَابُ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (تَنْهَشُ الذِّئَابُ عَيْنَيْهَا)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدّمَ المَفْعُول بِهِ عَلَى الفَاعِل لِلعِنَاية وَالاهتِمَام، أيّ لِيدل عَلَى أَنَّهُمِحْوَر الكَلَام وَأَسَاسه، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يلفت نَظر المُتَلَقِّي نَحْو الاِهْتِمَام بِالقدس وَالشُّعُور بِمَشَاعِرها، وَذَلِكَ لِسَد العَجْز مِنْ الأَذَى وَالأَلَم نَتِيجَة مَا تَعَرَّضَت لَهُ مِن قِبَل الأَعْدَاء، لِأَنَّهَا مَنْبُوذة وَلَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِها أَحَدٌ، وَهُوَ يُرِيدُ مِنْ خِلَال هَذَا العُدُول اللُّغَوِيّ أَنْ يبرز القُدْس وَيُقَدِّم لَهَا بَعْض الاِحْتِرَام وَالاِهْتِمَام تَعْوِيضًا عَنْ مُعَانَاتها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى الفَاعِلِ

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (ترويدة..):

"..نَعَمْ.. نَحْنُ أَبْنَاءُ الَّذِينَ اِنْحَنَتْ لَهُمْ

رِمَالُ الفيافي، وَانْحَنِى لَهُمْ الصَّخْرُ"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

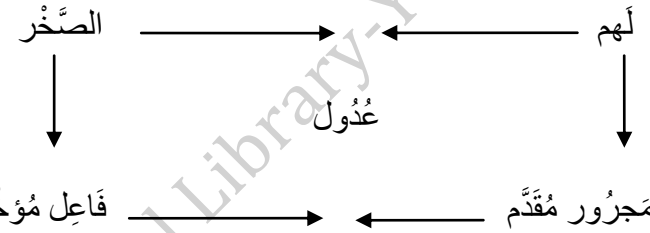

البِنْيَة العَمِيقَة:

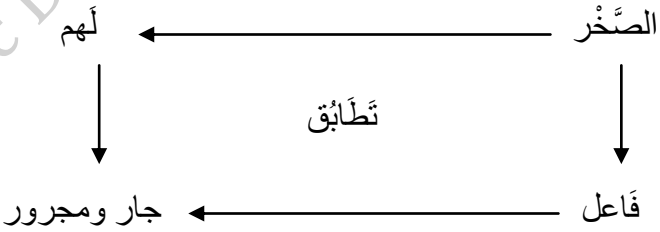

قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَارّ وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (لَهُمْ)، عَلَى الفَاعِل فِي قَوْلِهِ: (الصَّخْرُ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (وَاِنْحَنَى الصَّخْرُ لَهُمْ)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور عَلَى الفَاعِل لِغَرَض بَلَاغِي وَهُوَ الفَخْر وَالاِعْتِزَاز بِالأُرْدُنّ وَشَعْبه وَإِنْجَازَاته، وَلِغَرَض عروضِي مُتَعَلِّق بِالوَزْن وَالقَافِيَة، فَالبَيْت عَلَى وَزْن بحر الطَّوِيل فَلَوْ أَتَى بِالأَصَل لَاخْتَلَّتْ تَفْعِيلَاته، كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِن أَنْ يَضع الجَار وَالمَجْرُور مَكَان الفَاعِل الَّذِي يَتَنَاسَبُ صوتيًا مَعَ القَافِيَة السَّابِقَة (الجَمْرُ) = (الصَّخْرُ) أَي رُ رُ.

---

(١) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر، ص٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (الضِّفَّتَانِ، تَوْأَمَانِ):

"تَشَابَكَتْ، فِي ظِلِّهِ، الأَيَادِي

وَالْتَحَمَ الفُؤَادُ.. بِالفُؤَادِ"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

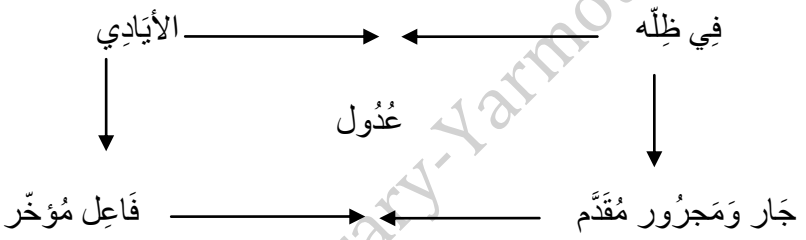

البِنْيَة العَمِيقَة:

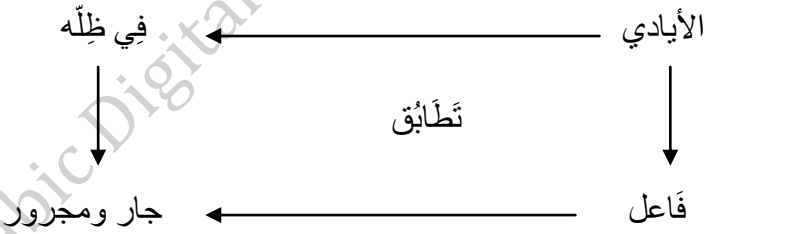

قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (فِي ظِلِّهِ)، عَلَى الفَاعِل فِي قَوْلِهِ: (الأَيَادِي)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (تَشَابَكَتْ الأَيَادِي فِي ظِلِّهِ)، وَهَذَا التَّقْدِيم لِلجَار وَالمَجْرُور عُدُول عَنْ التَّرْكِيب الأَصْلِيّ وَلَهُ تَأْثِير فِي المُتَلَقَّي، وَدَلَالَته الحَصْر أَي حَصْر الْتمَاسك وَالتَّرَابُط بَيْنَ أَبْنَاء الشَّعْب الأُرْدُنِيّ؛ البَلَد العَظِيم الَّذِي يَجْمعُ المُتَفَرِّقِين وَيُوَحِّدُ القُلُوب، وَلِيُؤَكِّد عَلَى أَهَمِّيَّة بَلَده الأُرْدُنّ وَدَوْره فِي بِنَاء الوِحْدَة بَيْنَ الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَالضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (ترويدة عمّانيّة):

"وَلَكِن حِينَ أَرَاكِ أَرَانِي

وَيَعُودُ إِلَى قَلْبِي.. قَلْبِي"(١)

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

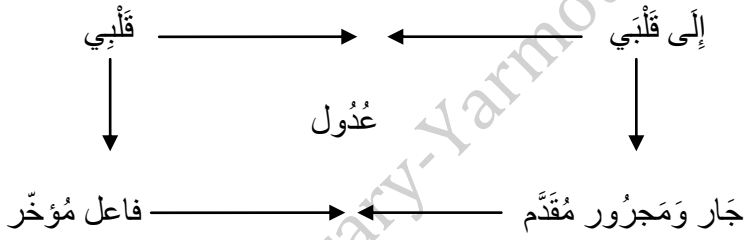

البِنْيَة العَمِيقَة:

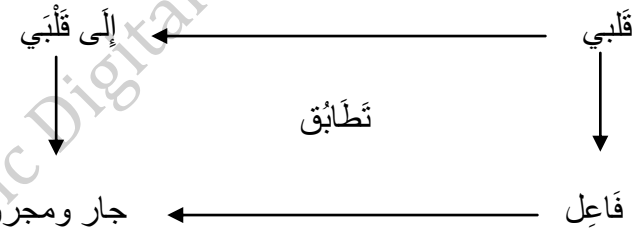

فِي المَقْطَع الشِّعْري نَلْحَظُ أَنَّ الشَّاعِر قَدْ تَصَرَّفَ فِي مَوَاقِع الكَلِمَات فِي البِنَاء التَّرْكِيبِي لِلجُمْلَة، حَيْث قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (إِلَى قَلْبِي)، عَلَى الفَاعِل فِي قَوْلِهِ: (قَلْبِي)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (وَيَعُودُ قَلْبِي إِلَى قَلْبِي)، وَهَذَا التَّصَرُّف لَا يعني مُخَالَفَة الأَصل وَإِنَّمَا عُدُول عَنْه لِغَايَةٍ فِي نَفْس الشَّاعِر، وَهَذِه الغَايَة لِلتَّخصِيص، لِيُظْهِر حُبه لِمَدِينَة عَمَّان وَتَعَلُّقه الشَّدِيد بِهَا؛ إِذْ تُشَكِّلُ حُرُوفها نَبَضَات تُزْهِرُ قَلْب الشَّاعِر، وَدُونها هُوَ بِلَا قَلْب، فَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ لَا يَسْتَطِيعُ التجزيء وَهَوَاهَا لَيْسَ كَمِثْلِه هُوًى.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٣٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤ – تَقْدِيم الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المَفْعُول بِهِ

وَمِنْ هَذَا التَّرْكِيب اللُّغَوِيّ مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (أُغنِيَّة نابلسيّة):

"فَامْسَحِي، عَنْ عُيُون الجِيَاعِ، الأَسَى

يَا كْرُوم الخَلِيلْ

وَافْتَحِي للعطاش،

مِيَاه السَّبِيلْ.."[١]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

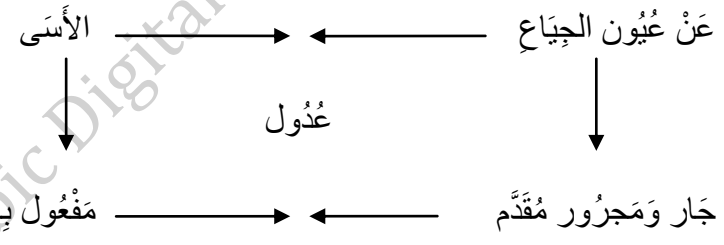

البِنْيَة العَمِيقَة:

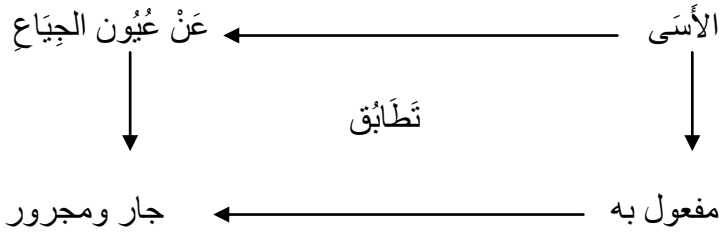

قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (عَنْ عُيُون الجِيَاع)، عَلَى المَفْعُول بِهِ فِي قَوْلِهِ: (الأَسَى)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (فَامْسَحِي الأَسَى عَنْ عُيُونِ الجِيَاعِ)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المَفْعُول بِهِ لِغَرَض بَلاغيّ هُوَ الاِهْتِمَام وَالعِنَايَةَ مِن حَيث إنّ هُنَا لَيْسَتْ منصبة عَلَى الأَسَى ذَاته، إنَّمَا عَلَى نَابلس وَأَهلِهَا كَوْنهم يُعَانُونَ الجُوع وَالأَلَم وَالحَزَن فِي ظِلّ الظُّرُوف المَعِيشِيَّة الصَّعْبَة، فَالشَّاعِرُ يَطْلُبُ مِنْ الأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّة فِي بَلْدَة الخَلِيل أَنْ تَكُون عَوْنًا لِكُلّ جَائِع، وَتَمسح عَنْهمْ كُلّ شَقَاء وَتَعب، فَهِيَ كُرُوم خليلية مَلِيئَةٌ بِالخَيْرَات، وَتُعْتَبَرُ الأُولَى عَالَمِيًّا فِي زِرَاعَة العِنَب وَإِنْتَاجه.

وَمِنْ هَذِه الصُّورَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (النَّشِيد الثَّانِي..):

"وَاِسْتَرْجَعَ الصَّخْرُ مِنْهُمْ، جَمْرَ قَبْضَتِهِ

وَتَابَعَ النَّهْرُ مَجْرَاهُ.. إِلَى الكَبَدِ"[1]

فَإِذَا رَصَدْنَا حَرَكَةَ الصِّيَاغَة فِي اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

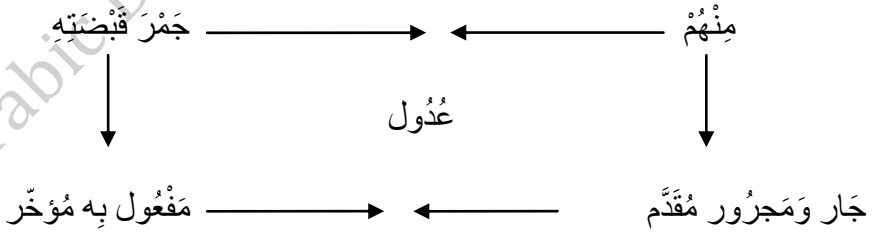

البِنْيَة العَمِيقَة:

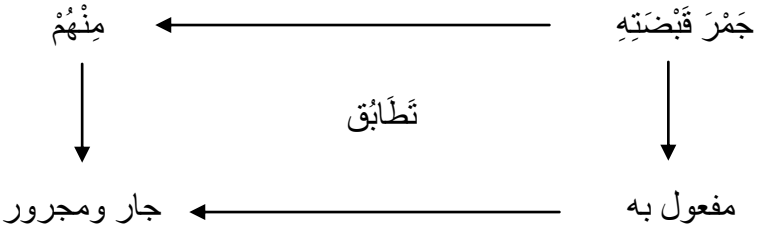

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٣٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَدَّمَ الشَّاعِرُ الجَار وَالمَجْرُور فِي قَوْلِهِ: (مِنْهُمْ)، عَلَى المَفْعُول بِهِ فِي قَوْلِهِ: (جَمْرَ قَبْضَتِهِ)، وَكَانَ مُقْتَضى الظَّاهِر أَنْ يُقَالَ: (واسترجعَ الصَّخْرُ جَمْرَ قَبْضَتِهِ مِنهُمْ)، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِر قَدَّمَ الجَار وَالمَجْرُور عَلَى المَفْعُول بِهِ لِأَمْرَيْنِ أَولهما لِغَايَة دَلَالِيَّة وَهِيَ تشويق المُتَلَقِّي فِي مَعْرِفَة المَفْعُول بِهِ وَإِثَارَته وَدَفْعه إِلَى مُحَاوَلَة مَعْرِفَته، وَلَوْ كَتَبَ الشَّاعِر الجُمْلَةَ بِالطَّرِيقَة التَّقْلِيدِيَّة لَفَقَدَتْ شَاعِريتها وَجَمَالها، وثانيهما لِغَايَة عَرُوضِية حَتَّى يَسْتَقِيم وَزَن البَيْت وَلَا يَخْتَلّ أَحَد تَفْعِيلَاته فَلَوْ أَتَى بِالأَصَل لِأَخْتَلَّ وَزَن البَيْت عروضيا، لِذَلِكَ اِضْطَرَّ الشَّاعِرُ إِلَى هَذَا النَّوْع مِنْ التَّقْدِيم.

يَتَبَيَّنُ مِمَّا سَبق أَنَّ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير يَعْكِسُ قُدْرَة كَبِيرَة عِنْدَ الشَّاعِر عَلَى "اِسْتِخْدَام اللُّغَة وَتَفْجِير طَاقَاتها وَتَوْسِيع دَلَالَاتها وَتَوْلِيد أَسَالِيب وَتَرَاكِيب جَدِيدَة لَمْ تَكُنْ دَارِجَة أَوْ شَائِعَة فِي الاِسْتِعْمَال، فَالمُبْدِعُ يُشَكِّلُ اللُّغَة حَسْبَمَا تَقْتَضِي حَاجَته غَيْر آبِه بِالحُدُود وَالأَنْظِمَة وَالدَّلَالَات الوَضْعِيَّة، فَهُوَ يعمدُ إِلَى الاِنْتِقَال مِمَّا هُوَ مُمْكن إِلَى مَا هُوَ غَيْر مُمْكِن مِنْ خِلَال اِسْتِخْدَامه الخَاصّ لِلُغَة"[1].

وَمِمَّا لَا شَكّ فِيه أَنَّ النَّصّ الشِّعْرِيّ إِنْتَاج فَرِيد مِنْ نَوْعه وَمُتَمَيِّز عَنْ غَيْره بِاِعْتِبَاره قُدْرَة خَلَّاقَة، يَخْتَلِفُ عَنْ النُّصُوص الأُخْرَى، وَيَرْتَبِطُ اِرْتِبَاطًا وَثِيقًا بِنَفْسِيَّة الشَّاعِر وَعَوَاطفه لِلتَّعْبِير عَنْ المَعَانِي الدَّلَالِيَّة وَالإِيحَائِيَّة، وَفِي العَصْر الحَدِيث لَا وُجُود لِلشِّعْر مَا لَمْ يَكُنْ العُدُول حَاضِرًا فِي لُغَته لِأَنَّهَا تُبنَى عَلَى أُسس مِنْ التفرد وَالتَّمَيُّز وَالاِخْتِلَاف، وَحَيْدَر مَحْمُود مِنْ الشُّعَرَاء الأُرْدُنِيِّين الَّذِينَ فَتَّشُوا عَنْ طَرِيقَة لِلتَّخَلُّص مِنْ شَكْل القَصِيدَة الَّتِي عَرَفَهَا الشِّعْر العَرَبِيّ القَدِيم، وَاِمْتَلَكُوا أَدَوَات الشِّعْر الجَيِّدَة وَاِسْتَخْدَمُوهَا اِسْتِخْدَامًا فَائِقًا فِي بِنَاء القَصِيدَة وَشَكلها بِجَمِيع أَنْمَاطها مِنْ تَقْدِيم وَتَأْخِير وَحَذْف وَغَيْرها.

(١) ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص١٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفَصْل الثَّانِي

الحَذْف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَدخَل

يُعدُّ الحَذْف مِنْ أَكْثَر الظَّوَاهِر الأُسْلُوبِيَّة ثَرَاءً وَلُطْفًا فِي الدَّرْس النَّحْوِيّ وَالبَلَاغِيّ، لِمَا يُؤَدِّيه مِنْ دَورٍ مُهِمٍّ وَعَظِيمٍ فِيه، بِوَصْفِهِ عدولاً عَنْ المُسْتَوَى المِعْيَارِيّ الشائع، فالمِعْيَارِي لَيْسَ لَهُ مِن الإِثَارَة مَا لِغَيْرِ المِعْيَارِي، وهُوَ مُقَوّم رَئِيسِيّ مِنْ مُقَوَّمَات الإِيجَاز، يَجْعَلُ الكَلَام خَفِيفًا عَلَى اللِّسَان قَوِيًّا فِي التَّعْبِير، وَيَمْتَدُّ عَبْر الكَثِير مِنْ أَبْوَاب العَرَبِيَّة، لِذَلِكَ مِنْ المُهِم رَبْط هَذَيْن العِلْمَيْن بِبَعْضِها لِلاِسْتِفَادَة مِنْهُمَا فِي تَوْجِيه الأَعْمَال الأَدَبِيَّة شِعْرًا وَنَثْرًا.

وَيُعدُّ الحذفُ فِي كلام العَرَب أُسْلُوبًا مَعْهُودًا وَمَسْلَكًا مَعْرُوفًا يَعْمدونَ إِلَيْه لِتَحْقِيق أَغْرَاض مُخْتَلِفَة يُرِيدُهَا المُبْدِع تُفِيدُ فِي تَقْوِيَة اللُّغَة وَتَقْدِيمها بِصُورَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة، كَمَا يُعدُّ وَسِيلَة بَالِغَةالأَهَمِّيَّة فِي بِنَاء النَّصّ الأَدَبِي لِقُدْرَته عَلَى تَوْسِيع الدَّلَالَة وَتَوْجِيهها، الَّتِي يُمْكِنُ رَصْدها مِنْ خِلَال التَّأَمُّل فِي النَّصّ، فَكُل زيادة فِي اللَّفْظ هُوَ زِيَادَة فِي المَعْنَى، وَكُل نُقْصَان فِي التَّرْكِيب هُوَ زِيَادَة فِي البَلَاغَة والإِيحَاء.

ويُعدُّ بَاب الحَذْف بَابَاً يَفْتَحُ المَجَال فِي مُوَاطِنه لِعدّة تَقْدِيرَات، إِذ يَجْعَلُ القَارِئ يَنْقَضُّ عَلَى النَّصّ مِنْ خِلَال الرُّؤْيَة والتَدبّر والتفكّر لِيَكْشِف مَا خفي مِنْأَسْرَاره وَجَمَالِيَّاته، وَهُنا تَكْمُنُ قُدْرَته عَلَى المُفَاجَأَة وَالدَهشة، وَهَذَا مَا جَعل الجرجاني يَقُولُ: بأنّه "دَقِيقُ المَسَالِك، لَطِيفُ المَأْخَذ، عَجِيبُ الأَمْر، شَبِيه بالسّحر، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْك الذِّكْر أَفْصَح مِنْ الذِّكْر، وَالصَّمْت عَنْ الإِفَادَة أَزْيَد لِلإِفَادَة، وَتَجِدُكَ أَنْطق مَا تَكُون إِذَا لَمْ تَنْطِق وَأَتَمّ مَا تَكُون بَيَانًا إِذْ لَمْ تُبِن"(١).

وَقَدْ جَاءَ مَعْنَى الحَذْف فِي اللُّغَةكمَا وَرَدَ فِي المعَاجِم: "حَذْف الشَّيء يَحْذِفُهُ حَذْفًا: يَقْطَعُهُ مِنْ طَرَفَيه، وَعَنْ الجَوْهَرِي، حَذْف الشَّيء: إِسْقَاطه، وَمِنه حَذَفَت الشَّعْر إِذَا أَخَذت مِنْه، وَفِي الحَدِيث

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشَّرِيف: حَذْف السَّلَام مِنْ الصَّلَاة سُنة، هُوَ تَخْفِيفُهُ وَعَدَم الإِطَالَة فِيه..."[١]، وَإِسْقَاط الشَّيء أَوْ قَطْعه هُمَا بِمَعْنى وَاحِد، لِأَنَّهُمَا يَعْنِيَانِ أَخذ جُزء مِنْ الشَّيء أَو إِلْغَاؤه.

أَمَّا الحَذْف اصطلاحاً فَهو إِسْقَاط جُزء مِنْ الكَلَام أَو كُله لِدَلِيل، وَأَضَافَ النَّحْوِيُّونَ فَقَالُوا أَو لِغَيْر دَلِيل، وَذَلِكَ بِحَذْف حَرْف أَو كَلِمَة أَوْ جُمْلَة أَو... بِشَرْط وُجُود قَرِينَة لَفْظِيَّة أَوْ مَعْنَوِيَّة تَدُلُّ عَلَى المَحْذُوف حَتَّى لَا يلبس عَلَى القَارِئ فِهم المَعْنى. وَقَدْ تَنَبّه بَعْضهم إِلَى ضَرُورَة التَّفْرِيق بَيْنَ الحَذْف والإضمار لِأَنَّ المَحْذُوف يُقَدّر لَا يَظْهَر بَيْنَمَا الإضمار قَدْ يضمر وَقَدْ يظهر.

وَقَدْ اِعْتَنَى القُدَمَاء والمُحدثون بِظَاهِرَة الحَذْف لِخُرُوجها عَنْ اللُّغَة المَقِيس عَلَيْهَا وَتَمَرُّدها عَلَى أُسُسها الَّتِي يَنْبَغِي أَصْلاً أَنْ تُحْتَذَى؛ كَيْ يَتَّزِن الكَلَام وَيَنْتَظِم وَتَكْتَمِل دَلَالَته مِنْ غَيْر نَقْص، وَلِأَهَمِّيَّتها أَيْضًا فِي تَمَاسُكالنَّصّ الأَدَبِي وَالتَّفَنُّن بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلُوا مِنْهَا مَيْدَانًا لِلتَّخَيُّل والتّصوّر؛ إِذْ رَأَى أَبُو هِلَال العَسْكَرِي أنّ الحَذْف قُصُور البَلَاغَة عَلَى الحَقِيقَة، وَمَا تَجَاوز مِقْدَار الحَاجَة مُجَرَّد هَدر وَتَضْيِيع لِلوَقْت وَالجُهْد[٢]، ووَقَفَ عِنْدَهَا ابنجنيوَعدّهَا مِن بَاب "شَجَاعَة العَرَبِيَّة"[٣]، وَنبّه إِلَى أهميّتها القَزْوِينِي أَيْضًا فِي كِتَابه "الإِيضَاح"[٤]، وَاِهْتَمَّ ابن هِشَام بِدِرَاسَة ظَاهِرَة الحَذْف بِوَصْفها مِنْ الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة المُهِمَّة، ونبّه إِلَى ضَرُورَة الاِعْتِنَاء بِهَا وَتَسْلِيط الضَّوْء عَلَيْهَا[٥]، وَتَحدّث عَنْهَا أيضاً

(١) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج٩، مادة حرف، ص٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٧٣.

(٣) ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج٢، ص١٤٠.

(٤) ينظر: القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم القرآن، تح: لجنة جامعة الأزهر، أوفيست مكتبة المثنى، بغداد، ج١، ص٨٠.

(٥) ينظر: ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، مغني اللبيب، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دمشق، ١٩٦٤م، ص٧٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السيوطي فِي كِتَابه "الإِتْقَان"[١]، وَمِنْ الدِّرَاسَات الحَدِيثَة الّتي تَنَاولَتْ ظَاهِرَة الحَذْف فِي العَرَبِيّة دِرَاسَة فَضل عَبَّاس فِي كِتَابه "البَلَاغَة"[٢]، ومحمود أحمد نحلة فِي كِتَابه "فِي البَلَاغَة العَرَبِيَّة"[٣].

وَإِنّمَا اِهْتَمُّوا بِهَا؛ لِأَنَّهَا تُكْسِبُ اللُّغَة مَتَانَة وَالكَلَام قُوَّة؛ فَالصَّمْتُ فِي بَعْض الأَحْيَان أَبْلغ وَأَفْصَح مِنْ الكَلَام، وَتُعدُّ رَكْنًا عَظِيمًا مِنْ أَرْكَان نَظَرِيَّة النّظملِمَا تُحَقِّقُهُ لِلعَرَبِيَّة بِشَكْل عَامّ وَالبَلَاغَة بِشَكْل خَاصّ مِنْ مَنْزِلة مَرْمُوقة، وَلِأَنَّهَا تَجْعَلُ القَارِئ يَتَفَاعَل مَعَ النَّصّ مِنْ خِلَال تَفْجِير شَحْنَة فِي ذِهْنه تُوقِظه وَتَجْعَله يَصِلُ إِلَى المَحْذُوف، وَتُعدُّ ضَرْبًا أَسَاسِيًّا مِنْ ضُرُوب الإِيجَاز لِلتَّخَلُّص مِنْ لَغْو الكَلَام وَفُضُوله عَنْ طَرِيق الصِّيَاغَة اللَّفْظَة المُقتصَدَة فِي أَلْفَاظها، المُكَثَّفَة فِي إِيحَاءَاتها وَظِلَال معانيها وَغِنَاء دَلَالَتها.

وَقَدْ صَرَّحَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّ الحَذْف عُدُول عَنْ الأَصْل اللُّغَوِي الَّذِي جَرَى عَلَيْه العُرْف النَّحْوِي، لِأَنَّ الأَصْل أَنْ يُذكر الكَلَام تامًا مستوفيًا جَمِيع العَنَاصِر مِنْ غَيْر حَذْف، لِذَلِكَ فَإِذَا دَارَ الأَمْر بَيْنَ الحَذْف وَعَدَمه كَان الحَمْل عَلَى عَدَمه أولَى، لِأَنَّ العَدَم هُوَ الأَصْل، وَإِذَا دَارَ الأَمْر بَيْنَ قِلَّة المَحْذُوف وَكَثْرَته، كَانَ الحَمْل عَلَى قِلَّته أولَى[٤].

وَيُعدُّ الحَذْفُ عُدُولًا نَحْو اللامعيارية واللامثالية، لِأَنَّهُ يُسَاهِمُ فِي حُدُوث مُفَارَقَات لُغَوِيَّة؛ إِذْ يُصْبِحُ الدّال مَدْلُولًا، وَالمَدْلُول دالًا ثَانِيًا لَهُ مَدْلُول آخَر، وَمِنه تَنخلقُ مُسْتَوَيَات لُغَوِيَّة مُتَبَايِنَة يَتَحَرَّكُ فِي دَائِرَتها الأَدِيب كَيْفَمَا يَشَاء، وَبِهَذَا يَتَحَقَّق أُسْلُوب جَمَالِي وَفَنِّي، يَحْمِلُ الكَثِير مِنْ الغَرَابَة

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٤م، ج٣، ص١٩٠.

(٢) ينظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، ٢٠٠٥م، ط١٠، ص٢٦٦.

(٣) ينظر: أحمد نحلة، محمود، في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ط١، ص١٦٥.

(٤) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج٣، ص١٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والدّهشَة الَّتِي تَسْتَوْقِفُ القَارِئ، وَتَضَعُه أَمَام مَجْمُوعَة مِنْ الفَرْضِيَّات الَّتِي يُحَاوِل أَنْ يَجِد لَهَا تَبْرِيرَات، فَيُؤَوِّلها وَيُقِيم اِحْتِمَالَات لَهَا بِلُجُوئه إِلَى خَيَاله وَتَصَوُّرَاته، وَبِالآتي تنتجُ العَدِيد مِنْ النُّصُوص الَّتِي تَتَجَدَّدُ مَع كل قِرَاءة وَمَع كُل شَخْص(١).

وَمِنْ أَهَمّ مَنْ تَنَبَّهَ عَلَى الأَبْعَاد الجَمَالِيَّة الكَامِنَة وَرَاء ظَاهِرَة الحَذْف عَبد القَاهِر الجرجاني حَيْث يَقُول مُعَلّقًا عَلَى أَبْيَات ذكر فِيهَا حَذْفًا مُعَيَّنًا "فَتَأَمَّل الآن هَذِه الأَبْيَات كُلّها، واستقرِها وَاحِدًا وَاحِدًا، وَانْظُر إِلَى مَوْقِعها فِي نَفْسك وَإِلى مَا تَجِده مِنْ اللّطْف وَالظّرْف وَإِذا أَنْتَ مَرَرْت بِمَوْضِع الحَذْف مِنْهَا، ثمّ فَلَيت النَّفْس عَمَّا تَجْد، وألطفت النَّظر فِيمَا تحسّ بِهِ، ثمّ تَكَلُّف أَنْ ترد مَا حَذَفَ الشَّاعِر، وَأَن تخرجه إِلَى لَفْظِك، وَتوقعه فِي سَمعك، فَإِنَّكَ تَعلم أَنَّ الَّذِي قلت كَمَا قلت، وَأَنَّ رُبّ حَذْف هُوَ قِلَادَة الجَيِّد، وَقَاعِدَة التَّجْوِيد"(٢).

وَلَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَسْبَاب الحَذْف بِينَ مَا هُوَ ضَرُورِيّ وَمَا هُوَ اِضْطِرَارِي، وَهِيَ أَسْبَابتعلّق بِهَا العُلَمَاء وَالبَاحِثُونَ لتَفْسِير الظَّاهِرَة حسب وُرُودها فِي النَّصّ، فَقَدْ يُعَلّل الحَذْف لِأَكْثَر مِنْ سَبَب فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ يُعَلّل لِسَبَب وَاحِد فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى، وَمِنْ هَذِه الأَسْبَاب طُول الكَلَام فِي التَّرَاكِيب، فَيَكُون الحَذْف لِتَخْفِيف الكَلَام مِنْ الثِّقْل، وَقد يَكُون للضَّرُورَة الشِّعْرِيَّة لِاِسْتِقَامَة الوَزْن وَالقَافِيَة وَالاِنْسِجَام المُوسِيقِيّ، وَقد يَكون الحَذْف لِلإِعْرَاب، وَربما يكون الحَذْف لِأَسْبَاب صَرْفِيَّة أَوْ صَوْتِيَّة(٣).

كَمَا تَعَدَّدَتْ أَغْرَاض الحَذْف بِحسب المقام؛ فَلِكُلّ مَقَال مَقَام تَتَوَّعْتَ مِنْ تَرْكِيب إِلَى آخَر وَمِنْ جُمْلَة إِلَى أُخْرَى فِي النَّصّ الوَاحِد بِحسب مَا يَقْتَضِيه المَعْنَى، وَمِنْ هَذِه الأَغرَاض الإِيجَاز وَالاِخْتِصَار

(١) ينظر: مغني، خيرة، سعاد، نصيرة، جمالية الانزياح في شعر الأخضر فلوس "عراجين الحنين" أنموذجاً، إشراف: عبد القادر قدار، جامعة الجيلاني، الجزائر، ٢٠١٦م، ص٩٤- ٩٥.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص١٥١.

(٣) ينظر: حسين، كواكب محمود، ظاهرة الحذف في الشعر الحديث وأثرها في تماسك النص (دراسة نحوية)، مجلة الأستاذ، ع٥، ٢٠١٧م، ص٢٥٢- ٢٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حَتَّى لَا يَطول الكَلَام إِنْ كَانَ للمَحْذوف قَرِينَة تَدُلُّ عَلَيه، وإِثَارَة ذِهْن المُخَاطَب وَخَيَاله فِي البَحْث عَنْ الجُزْء المَحْذُوف مِنْ الكَلَام، وَالتَّخْفِيف فِي الكَلَام كَالْتِقَاء السَّاكِنَيْن، وَتَقْوِيَة قُدْرَة الأَلْفَاظ عَلَى زِيَادَة المَعْنَى وَإِيصَاله للمتلقي، وَصِيَانَة المَحْذُوف عَنْ الذِّكر فِي مَقَام مُعَين تَشْرِيفًا لَهُ، وَتَحْقِير شَأْن المَحْذُوف، وَالمُحَافَظَة عَلَى وَزْن الشِّعْر وَقَوَافِيه،وَغَيْرها الكَثِير مِنْ الأَغرَاض، إِلَّا أَنَّ الَّتِي ذُكِرَتْ أَكْثَرها أَهَمِّيَّة، وَالاِهْتِدَاء بِهَذه الأَغْرَاض تُسْهِمُ كَثِيرًا فِي فِقْهالنَّصّ وَاِسْتِنْبَاطه لِلوُصُول إِلَى المَعْنَى الَّذِي أَرَاده الشَّاعِر(١).

وَلِلحَذْف أَنْمَاط كَثِيرَة، تَعْتَرِي جَمِيع العَنَاصِر فِي الجُمْلَتَيْن الاِسْمِيَّة وَالفِعْلِيَّة، سَوَاء أَكَانَتْ هَذه العَنَاصِر أَسَاسِيَّة كالمُبتَدأ وَالخَبَر وَالفِعْل وَالفَاعِل، أَمْ كَانَتْ مِنْ المُكَمِّلَات كَالمَفْعُول بِهِ والجَار وَالمَجْرُور، وَهَذه الأَنْمَاط تَجِدُهَا كَثِيرًا فِي النَّصّ الأَدَبِي بِصُورَة مُكَثَّفَة، وَلاَ بُدَّ لِكُلّ نَمَط وُجُود قَرِينَة تَدُلُّ عَلَى العُنْصُر المَحْذُوف أَو العَنَاصِر المَحْذُوفَة.

وَأُسْلُوب الحَذْف مِنْ أَسَالِيب الشَّاعِر فِي بِنَاء تَرْكِيبة الجُمَل وَالقَصِيدَة، وَهُوَ مَا يَعْمِدُ إِلَيْه الشَّاعِر مُنْذ القِدَم حَتَّى يَوْمنَا هَذَا اِسْتِغْلَالًا لِطَاقَاته التَّعْبِيرِيَّة وَإِمْكَانَاته الإِيحَائِيّة، بِاِعْتِبَاره عُدُولًا يُصِيبُ السِّيَاق النَّصي، بِالآتي يَشُدُّ ذِهْن القَارِئ وَيَلْفت نَظره وَيثير اِنْتِبَاهه مِمَّا يذهبُ بِه إِلَى مَذَاهِبَ بَعِيدَةٍ وَآفَاقٍ وَاسِعَةٍ فِي التَّفْكِير وُصُولًا إِلَى اِسْتِحْضَار النَّصّ الغَائب أَو سَد الفَرَاغ.

وَاِسْتِعْمَالأُسْلُوب الحَذْف فِي الكِتَابَة الأَدَبِيَّة دَلِيل عَلَى العَبْقَرِيَّة التَّعْبِيرِيَّة القَائِمَةعَلَى العُدُول اللُّغَوِي، فَالشَّاعِر حِين يَلْجَأ إلى الحَذْف فِي كِتَابَاته يَدُلُّ عَلَى إِبْدَاعه وَبَرَاعَته وَخَيَاله وَقُوَّة نَصّه، لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَن لَا نُرَكِّز عَلَى المُتلقي أَوْ القَارِئ وَنَنْسَى الدَوْر الكَبير للمُبْدِع فِي ذَلِكَ لِأَنَّ "الحَذْف فِي البِنْيَة اللّسانيَة لَيْسَ فِعْلًا بَرِيئًا أَو عَمَلًا مُحَايِدًا أَو شَكْلًا مَفْرُوضًا عَلَى القَصِيدَة مِنْ الخَارِج، وَإِنَّمَا

(١) ينظر: كواكب محمود، ظاهرة الحذف في الشعر الحديث وأثرها في تماسك النص (دراسة نحوية)، ص٢٥٦-٢٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هُوَ عَمل وَاع وَسِمَة مِنْ سِمَات القَصِيدَة الحَدِيثَة وَمَظْهَر مِنْ مَظَاهِر الإِبْدَاع الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى استِثْمَار الطَّاقَات التَّعْبِيرِيَّة الهَائِلَةالَّتِي تَزْخَرُ بِهَا اللُّغَة"(١).

وإِنَّ أُسْلُوب الحَذْف فِي الكَلَام يَمْنَحُه مِيزَة الإِقْتِصَاد اللُّغَوِي الَّذِي يُذْهبُ بِكَثِير مِنْ لَغْو الكَلَام وَحَشْوه وَفَضَلَاته، فَضْلًا عَنْ الغَايَة الدَّلَالِيَّة أَو البَيَانِيَّة، وَيَمْنَحُه أَيْضًا أَهَمِّيَّةً وَقِيمَةً جَمَالِيَّةً وَفَنِّيَّةً فِي التَّعْبِير عَنْ الأَغْرَاض النَّفْسِيَّة وَالبَلَاغِيَّة لِأَنَّهُ يَلْعَبُ دَوْرًا رَئِيسًا فِي عَمَلِيَّة التَّنْبِيه وَالتَّكْثِيف وَالإِيحَاء فِي النَّصّ الشِّعْرِيِّ، وَيثِيرُ ذِهْن المتلقي وَيحمله عَلَى البَحْث فِي عُمْق العِبَارَات وَالتَّرَاكِيب، بِوَصْفه تَقْنِيَة لُغَوِيَّة يَسْتَطِيع مِنْ خِلَالها التَّوَسُّع فِي المَعَانِي وَالدَّلَالَات.

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ البُنى الحذفية يَجِدُ نَفْسه فِي دَائِرَة التَّفْكِير بَعِيدًا عَنْ دَائِرَة الصِّيَاغَة لِأَنَّ الحَذْف يُؤَدِّي بِالقَارِئ إِلَى دَائِرَة الإِبْهَام الَّتِي تَجْعَله دَائِم القَلَق وَالبَحْث عَنْ المَحْذُوف المُبْهَم حَتَّى يَسْتَطِيع اِسْتِنْبَاطه، وَهُوَ مَا يُؤَدِّي أَيْضًا إِلَى حُصُول أَلَم لِلنَّفْس لِجَهْلِها بِهِ، فَإِذَا التَفَتَتْ إِلَى القَرِينَة تَفَطَّنَتْ لَهُ، فَيَحصلُ لَهَا اللَّذَّة بِالعِلْم، وَاللَّذَّة الحَاصِلَة بَعْد الأَلَم أَقْوَى مِنْ اللَّذَّة الحَاصِلَة اِبْتِدَاء، لِأَنَّ المُعَانَاة الَّتِي يَبْذُلُهَا الفِكْر فِي البَحْث عَنْ المَحْذُوفهِيَ الَّتِي تَصْنَعُ اللَّذَّة بَعْدَ التَّعَب وَالجُهْد(٢).

وَلَا يَكُون الحَذْف هَكَذَا عَبَثًا أَو لِلتَّخْفِيف مِنه فَقَطْ وَإِنَّمَا لَهُ هَدَف مُعين أَوْ غَرَض مُعين يَسْعَى إِلَيْه المُبْدِع فِي كُل تَرْكِيب أَو فِي كُلّ جُمْلَة فِي النَّصّ؛ إِذ يَحْتَمِلُ دَلَالَات تَخْتَلِفُ عَنْهَا لَوْ أَنّه تَمَّ الذِّكْر دُونَ الحَذْف لِأَنَّ الزِّيَادَة عَنْ اللَّازِم نُقْصَان، وَخَير الكَلَام مَا قَلَّ وَدَلَّ، وَيَرَى الزركشي أَنَّ لِلحَذْف أَثَرَه النَّفْسِيّ فِي المتلقي وَمِنْ قَبْل فِي المُبْدِع، حَيْث يَقُول: "أَلَا تَرَى أَنّ المَحْذُوف إِذَا ظَهَرَ

(١) www.almothaqaf.com/readings/881417-2014-06-25-11-18-33.

(٢) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٢٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فِي اللَّفْظ زَالَ مَا كَانَ يَخْتَلِجُ فِي الوَهْم مِنْ المُرَاد... وَكُلَّمَا كَانَ الشُّعُور بالمحذوف أَعْسر كَانَ الالتذاذ بِهِ أَشَدّ وَأَحْسَن"(١).

وَالحَذْف أَيْضًا جُزْء مِنْ مُتَطَلَّبَات النَّصّ الشِّعْرِي الَّذِي يُؤثر التَّكْثِيف وَالإِيحَاء لِأَنَّهُ يُعَدُّ تَحَوُّلًا فِي التَّرْكِيب اللُّغَوِي، يُثِيرُ القَارِئ، وَيُحْفِّزُهُ نَحْو اِسْتِحْضَار النَّصّ الغَائِب، أَوْ سَدّ الفَرَاغ، كَمَا أَنَّهُ يثري النَّصّ جَمَالِيًّا وَفَنِّيًّا، فَهُوَ أُسْلُوب يَعْمِدُ إِلَى الإِخْفَاء وَالاِسْتِبْعَاد بُغْيَةَ تَعَدُّدِيَّة الدَّلَالَة، وانْفِتَاحِيّة الخطاب عَلَى آفَاق غَيْر مَحْدُودَة؛ إِذْ تُصْبِحُ وَظِيفَة الخَطَّاب الإِشَارَة، وَلَيْسَ التَّحْدِيد، فَالتَّحْدِيد يَحْمِلُ بُذُور اِنْغِلَاق النَّصّ عَلَى نَفْسه، وَلَا يَبْقَى لِلقَارِئ فُرْصَة المُشَارِكَة فِي إِنْتَاج مَعْرِفَة جَدِيدَة بِالنَّص وَدَلَالَاته(٢).

و"إِنَّ الحَذْف بِاِعْتِبَاره ظَاهِرَة أُسْلُوبِيَّة يَزْدَادُ أَهَمِّيَّته فِي الشِّعْر المُعَاصِر، فَمَا لَا تَعْرِف اللُّغَة العَادِيَّة أَنْ تَنْقُلَه، هُوَ مَا يَطْمَحُ الشِّعْر الجَدِيد إِلى نَقْلِهِ، وَالَّذِي يُرَاعِي القَوَانِين النَّحْوِيَّة وَالتَّرَاكِيب المَأْلُوفَة فِي بِنَاء الجُمْلَة، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى تَحْطِيم القَاعِدَة وَالأَلْفَة بِإِعَادَة تَرْكِيب الدوال وَفْقَ مَا يَقْتَضِيه التَّرْكِيب الإِيقَاعِي الدَّلَالِي لِلتَّجْرِبَة الشِّعْرِيَّة"(٣) لِذَلِكَ نَجِدُ الشَّاعِر حَيْدَر مَحْمُود كَانَ كَثِيرًا مَا يَلْجَأ إِلَى إِسْقَاط بَعْض عَنَاصِر البِنَاء اللُّغَوِي؛ إِذْ لَا يُصَرِّح بِكُلّ شَيء، مِمَّا يثري الإِيحَاء وَيُقَوِّيه وَيُنَشِّطُ خَيال المُتَلَقِّي لِتَقْدِير المَحْذُوف، واِعْتَمَدَ فِي شِعْره عَلَى أَنْمَاط مُخْتَلِفَة لِلحَذْف مِنْهَا حَذْف الحَرْف أَو حَذْف الكَلِمَة أَو حَذْف الجُمْلَة، وَفِي مَا يَلِي بَيَان لِهَذه الأَنْمَاط الثَّلَاثَة:

---

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) ينظر: الزيود، عبد الباسط محمد، من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونبيس، مجلة جامعة دمشق، مج٢٣، ع١، ٢٠٠٧م، ص١٧١- ١٧٢.

(٣) بلغيث، عبد الرزاق، الصورة الشعرية عند الشاعر عز الدين ميهوبي دراسة أسلوبية، جامعة بوزربعة، ٢٠١٠م، ص٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- حَذْف الحَرْف:

تَقُومُ الحُرُوف بِعمليه مُهِمَّة فِي تَشْكِيل الأَبْنِيَة الكَلَامِيَّة وَالتَّرَاكِيب اللُّغَوِيَّة، وَكَذَا الرَّبْط بَيْنَ أَجْزَائها سَوَاء أَكَانَتْ بَيْنَ جُمَل مُتَتَالِيَة أَو بَيْنَ فِقْرَات، وُصُولًا إِلَى نِهَايَة النَّصّ، لِتَحْسِين صِيَاغَة الكَلَام وَتَكْثِيف دَلَالَة الأَلْفَاظ، وَلِلتَّأْثِيرفي المتلقي.

وَمَعنى الحَرْف فِي اللُّغَة:الطَّرَف وَالجَانِب، وَالنَّاحِيَة وَالحَافَّة، وَمِنه حَرف الجَبَل أَي شَفِيره، وَحَرف السَّفِينَة أَي جَانِبها[١]، قَالَ الرَّسُول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "**فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حرَف السَّفِينَةِ فَنقر نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ فَقَالَ الخضْر: يَا مُوسَى مَا نَقْص عِلْمِي وَعِلمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَة هَذَا العُصْفُور فِي البَحْرِ**"[٢]، وَانْطِلَاقًا مِنْ هَذِهِ المَعَانِي يَبْدُو أَنَّ الحَرْف سُمِّى بِذَلَكَ لأَنَّه طَرف فِي الكَلَام، أَو لأَنَّه حَدّ مَا بَيْنَ الاِسْم وَالفِعْل وَرِبَاط لَهُمَا وَمُوصل بَينهما.

أَمَّا فِي الاصطلاح فَقَدْ حدّ بِحُدُود كَثِيرَة، بِالنَّظَر إِلَى العِلم الّذِي حَدّوه فِي عِلم النَّحْو وَعِلم الصَّرْف وَعِلم القِرَاءَات وَعِلم الخَط وَعِلم التَّجْوِيد، وَمَا يَهمُّ هُنَا هُوَ الحَرف فِي عِلم النَّحْو، وَعَرَّفَه النُّحاة بأنّه كَلِمَة تَدُلُّ عَلَى مَعْنى فِي غَيْرها، أي أَنَّ مَعْنى الحَرْف لَا يَظْهَر إِلَّا بِمُجَاوَرَته وَتَرْكِيبه مَع غَيْره مِنْ الأَسْمَاء أَو الأَفْعَال.

وَلِلحُرُوف وَظيفة نَحْوِيَّة وَأُخرى دَلاليّة، فَالنَّحْوِيَّةُ تَعملُ فِيمَا بَعْدها وَتُؤَثِّرُ فِيه، وَمِنْ هَذِه الوَظَائِف الرَّفْع مِثل كَانَ وَأَخَوَاتها فِي الأَسْمَاء، وَالنَّصْب مِثْل إِنَّ وَأَخَوَاتهَا فِي الأَسْمَاءوَحُرُوف النُّصب فِي الأَفْعَال، وَالجَرّ وَتُؤَدِّيه حُرُوف الجَرّ فِي الأَسْمَاء، وَالجَزْم وَتُؤَدِّيه حُرُوف الجِزَم فِي الفِعْل المُضَارِع.

---

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، مادة "حرف".

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ج١، ١٩٩٣م، ص٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَمّا الدلاليّة فهِيَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا وَظَائِف نَحْوِيَّة أَيّ إِنَّهَا لَا تَعْمَل فِيمَا بَعْدهَا بَلْ لَهَا وَظَائِف مَعْنَوِيَّة تُؤَدِّيها فِي السِّيَاق، مِثل هَمْزَة الِاسْتِفْهَام وإِنْ الشُّرْطِيَّة وياء النِّدَاء وما النافية ولا النَّاهِيَة ولام الأَمْر وَحُرُوف العَطْف وَغَيْرها.

وَلَقَدْ بيّن القُدَمَاءُ أَهَمِّيَّة هَذِه الحُرُوف فِي الرَّبْط وَالإِبَانَة وَالتَّعْلِيق، كَسِيبَوَيْه يَقُول: وَأَمّا حُرُوف الإِضَافَة فَلِيست بِظُرُوف ولا أَسْمَاء، وَلَكِن يُضَافُ بِهَا الاِسم إِلَى مَا قَبْله أَو مَا بَعْده، فَإِذَا قلت: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، فَإِنَّمَا أَضفت المُرُور إِلَى زَيد بالباء، وَكَذَلِكَ: هَذَا لعبد الله، فَإِنَّمَا نَسَبْت الشَّيء لعبد الله باللام، وَإِذَا قلت: أَنْتَ كَمُحَمَّد، فَقَدْ أَضَفْت لِمُحَمَّد الشبه بِالكَاف[1].

أَمَّا المُحَدثونَ فَقَدْ نَبّهوا إِلَى أنّ الحَرْف بِوَصْفه أَدَاة تَعْبِيرِيَّة عَنْ المَعَانِي وَالتَّعْلِيق بِهَا، وَالعَلَاقَة الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهَا الأَدَاة إِنَّمَا تَكُون بِالضرُورَة بَيْنَ الأَجْزَاء المُخْتَلِفَة مِنْ الجُمْلَة، وَكُل جَمَّلَه فِي اللُّغَة تَتَكِلُ فِي تَلْخِيص العَلَاقَة بَيْنَ أَجْزَائها عَلَى الأَدَاة؛ فَهِيَ الأَسَاسُ فِي تَوْضِيح وَتَفْسِير المَعَانِي النَّحْوِيَّة وَالبَلَاغِيَّة[2].

وَإِذَا كَانَ ذِكْرُ الحَرْف فِي تَرْكِيب الصِّيَغ وَالجُمَل وَالأَلْفَاظ يضفي عَلَيْه إِيحَاءَات وَدَلَالَات، فَإِنَّ حَذْفه أَيْضًا يضفي إِيحَاءَات وَدَلَالَاتعَلى النَّصّ وَتَمَاسُكًا بَيْنَ التَّرَاكِيب. فَالعَرَبُ قَدْ حَذَفَتْ الحُرُوف فِي الِاسْتِعْمَال تَخْفِيفًا فِي الكَلَام عِنْدَمَا يَقوى الفِعْل بِنَفْسه وَهَذا ما دَلَّ عَلِيه اِبْن يَعِيش عِندما قَال: "فَلمَا ضَعفت الأَفْعَال اقتضى القِيَاس تَقْوِيَتها لِتَصِل إِلَى مَا تَقْتَضِيه مِنْ المَفَاعِيل، فَرَفَدُوهَا بِالحروف، وَجَعَلُوهَا مَوْصُولَة لها إِلَيها، فَقَالُوا: مَرَرْت بِزَيْد، وَعَجبت مِنْ خَالد، وَذَهَبت إِلَى محمد،

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج١، ص٤٢١.

(٢) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م، ص١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وخص كُل قُبَيْل مِنْ هَذه الأَفْعَال بقبيل مِنْ هَذه الحُرُوف، هَذَا هُوَ القِيَاس، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَحْذِفُونَ هَذه الحُرُوف فِي بَعْض الإِسْتِعْمَال، تَخْفِيفًا فِي بَعْض كَلَامهم فَيصل الفعل بِنَفْسه فَيُعْمَل"[١].

وَيَقَعُ هَذا النَّمَط مِنْ أَنْمَاط الحَذْف لِلتَّعْبِير عَنْ غَرض مَقْصُود بَلَاغِيًّا لِيَحمل دَلَالَات جَدِيدَة مُعَيَّنَة، وَقَدْ يَكُونُ لِلتَّخْفِيف أَو غَير ذَلِك، عَلَى أَنَّ هَذَا النَّمَط يُحَقِّقُ ضَرُورَة مِنْ الضَّرُورَات الشِّعْرِيَّة الَّتِي يَجُوزُ لِلشَّاعِر مُمَارَسَتها[٢]. وَقَد كثر حَذف الحَرْف فِي الشِّعْر العَرَبِي بِشَكْل عَام وَشِعْر حَيْدَر مَحْمُود بِشَكْل خَاص، فَهُو ظَاهِرَة شَائِعَة فِي أَدَب العَرَب يَخرُجُ إِلَى أَغراض بَلاغيّة مُتَنَوّعة، لِذَلِكَ عَمَدتُ إِلى التَّطَرُّق لِبَعْض مُوَاطِن حَذْف الحَرْف فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَعَ التَّمْثِيل عَلَيْهَا بشواهد شَعرِيَّة مُوَضِّحَة نوع الحَرْف وَسَبب الحَذْف.

وَمِنْ المَوَاطِن الَّتِي وَرَد فِيهَا حَذَف الحَرْف فِي شِعْر حيدر محمود مَا جَاءَ فِي حَذْف (يَا) النِّدَاء وَهُوَ أُسْلُوب شَائِع فِي شِعْره، وَغَالِبًا مَا يَكُون فِي مُقَدَّمَة القَصَائِد أَو صُدُور الأَبِيَّات، بِحيث يَنْزِلُ المُنَادَى مَنْزِلَة الحَرْف المَحْذُوف فِي المَوْقِع السطحي، فيبرز بِذَلِكَ لَفْظه وَيقوي بِهِ مَعْنَاه وَيَنْحَصِر فِيه الإِهْتِمَام، وَمِنه فِي قَصِيدَة (يَا ابن الحُسَينَين،):

"أَبَا الحُسَيْن، وَأَنْتَ اِبْنُ الحُسَيْن: وَهَلْ

يَأْتِي مِنْ الشَّهْدِ إِلَّا الشَّهْدُ وَالعَسَلُ؟"[٣]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

---

(١) ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ج٨، ص٥٠.

(٢) ينظر: العاكوب، عيسى علي، موسيقى الشعر العربي، دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – دمشق، ٢٠٠٠م، ط٢، ص١٣٢.

(٣) محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر قصائد في آل البيت، ص١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... أَبَا الحُسَيْن ◄——————— حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

يَا أَبَا الحُسَيْن ◄——————— الأَصْلُ

تَطَابق

يَخْتَرِقُ حيدر محمود النِّظَام اللُّغَوِي المِعْيَارِي، خَالِقًا بِذَلِكَ فَجَوَات عَمِيقَة مِنْ خِلَال عِبَارَاته المُوجزة، وَالَّتِي سَاهَمَ فِي بِنَائِهَا عُنْصُر الحَذْف، حَيْث قَامَ بِالعُدُول عَنْ الأَصَل فِي ذِكْر حَرف النِّدَاء مَع المُنَادَى إِلَى حَذْفه، وَيَتَّضِحُ لَنَا مِنْ خِلَال التَّرْكِيب السَّطْحِي أَنَّ الشَّاعِر حَذَفَ حَرْفالنِّدَاء (يا)، وَتَقْدِير الكَلَام (يَا أَبَا الحُسَيْن)، يُنَادِي بِالكُنْيَة دُونَ حَاجَة لِوَاسِطَة النِّدَاء، وَالغَرَض مِنْ هَذَا الحَذْف هُو قُرْبُ الحُسَين مِنْ قَلب الشَّاعِر، وَهَذَا النَّمط أَصْل عَظِيم فِي أَدَب الخطاب، كَمَا جَاءَفِي قَوْله تَعَالى: **{يوسِف أُعْرِض عَنْ هَذا}**[1] لِلإِعْرَاض عِنْ ذِكْرِ التَّفَاصِيل، فَالمَوقِف يَتَطلَّب السُّرعَة.

وَأَشَارَ النحاة إِلَى أَنَّ حَرْف النِّدَاء يُحْذَفُ جَوَازًا، قَالَ الزجَاجِيّ: "النِّدَاء مَوْضِع حَذْف وَتَخْفِيف، وَذَلِكَ حسن جَائِز فَصِيح ورد بِهِ الكَلَام"[2]، وَيَرَوْنَ أَنَّ حَرْف الـ(يا) مِنْ أَكْثَر حُرُوف النِّدَاء حَذْفًا، لَا بَلْ يَجْعَلُونَ الحَذْف خَاصًّا بِهَا، مِنهم ابن هِشَام يَقُول: وَهِيَ أَكْثَر أَحْرُف النِّدَاء اِسْتِعْمَالًا، وَلِهَذا لَا

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ٢٩.

(٢) الزجاجي، إعراب القرآن الكريم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج٢، ١٩٨٢م، ط٢، ص٦٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُقَدّر عِنْدَ الحَذْف سِوَاهَا[1]، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بَعضهم أَيْضًا إِذَا حُذِف حَرْف النِّدَاء فَلَا يُقَدّر إِلَّا يَاء.

وَمِنْ المَوَاطِن الأُخْرَى الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا النَّمَط مِنْ الحَذْف أَيْضًا مَا جَاءَ فِي حَذْف نون المُضَارِع المَجْزُوم، حَيْثُ إِنَّ حَذْف النون يَتَرَدَّدُ كَثِيرًا فِي لِسَان العَرَب وَغَالِبًا يَكُونُ بَعْد حُرُوف العِلَّة، وَمِنه فِي قَصِيدَة (أُغْنِية شِتَائِيَّة لِعَمَّان):

"وَلَم يكُ، مِثْلَ كُلّ الآخَرِين

هَوَاي...

أَرْفُضُ أَنْ نَكُونَ أُثْنَيْنْ،

أَمُوتُ إِذَا غَدَوْنَا أُثْنَيْنْ،

لَا.. لَا تقبلُ التّجزيء،

رُوحَانَا.."[2]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

لم يكُ ←——————— حَذْف

عُدُول

(١) ينظر: المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م، ط٢، ص٤٢٥.

(٢) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٣٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

لمْ يكُنْ ⟵ الأَصْلُ

تَطَابق

حَذَفَ الشَّاعِر النون فِي السَّطْر الأَوَّل فِي قَوْله: (يكُ) إِدْلَالًا مِنْهُ عَلَى أَنَّ هَوى عَمَّان وَحُبّها لَيْسَ كَمِثْله هوى وحب، وَقَدْ دَفَعْتَنِي هَذِهِ الدَّلَالَة إِلَى القَوْل بأنّه العَاشِق الأوحد لِعَمَّان مَهْمَا كَثر حَوْلها العَاشِقُونَ الأَمْر الَّذِي مَنَعَه مِنْ الإِتْيَان بِجَمِيع حُرُوف كَلِمَة (تَكُنْ) المَجْزُومَة بِـ(لَمْ)، وذلك لبيان القرب الملتحم بين عمان والشاعر.

وَهُوَ كَثِير فِي اللُّغَة، إِذْ إِنَّ أُصلها (يَكُنْ) وَهِيَ مَسْبُوقَة بِـ(لَمْ) حَرْف جزم، وَجَاءَ بَعْدها مُتَحَرِّك وَهُوَ (المِيم)، وَقد رَأى سِيبَوَيْه أَنَّ هَذَا الحَذْف مَشْرُوط كَون الحَرْف الآتي للنون مُتَحَرِّكًا، دُون أَن يَكُون المُتَحَرِّك ضَمِيرًا مُتَّصِلًا، بَيْنَمَا أَجَازَ يُونس السَّاكِن بَعْده، وَقَدْ قُرِئَ شاذًا (لَمْ يك الَّذِينَ كَفَّرُوا)[1].

وَحَذْف هَذِه النون خَاص بمضارع كَانَ، فَإِنّ أَصل الفِعْل قَبْل الجزم هُوَ (يَكُون)، وَبَعْدَ الجزم حُذِفَتْ الضَّمَّة الَّتِي عَلَى النون فَصَار اللَّفْظ (لَمْ يكَونْ) فَالتقى سَاكِنَان الواو والنون، وَلِلتَّخَلُّص مِنْ التِقَاء السَّاكِنَيْنِ حُذِفَتْ الواو، فَصَارَ اللَّفْظُ (لَمْ يَكُنْ)، وَالقِيَاس يَقْتَضِي أَنْ لَا يحذف بَعْد ذَلِكَ مِنه شَيْئا آخَر وَلَكِنَّهُمْ حَذَفُوا نَوُن (لَمْ يَكُنْ)، فَأَصْبَحَتْ (لَمْ يكُ) تَخْفِيفًا لِكَثْرَة الاِسْتِعْمَال فِي كَلَامهم، وَلا يُقَاس فِي غَيْره مِنْ الأَفْعَال، إِذْ لَمْ يرِدْ الحَذْف فِي نَحْو لَمْ يَهِنْ[2].

(١) ينظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٩٩- ٣٠٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا النَّمَط أَيْضًا حَذْف الهَمْزَة مِنْ الإِسم المَمْدُود كما في قوله:

"وَإِذَا بِهِ مِنْ نِصْفِ أُغْنِيَّة

وَعْدُ السمَا لِلأَرْضِ وَالأَمَلُ"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّةفِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

السما ◄——————— حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

السماء ◄——————— الأَصْلُ

تَطَابق

عَدَلَ الشَّاعِر عَنْ الأَصَل وَهُوَ قَول: (السّمَاء)، إِلَى حَذْفِ حَرْف مِنْ آخَر الكَلِمَة وَهُوَ الهَمْزَة فِي قَوْلِهِ: (السمَا)، وَلَقَدْ حَذف الشَّاعِر (الهَمْزَة) لِلتَّخْفِيف وَالتَّخَلُّص مِنْ الثّقل؛ فَعند مُحَاوَلَتك نُطْق التَّرْكِيب (السمَا لِلأَرْضِ) دُونَ الهَمْزَة تَجِدُ أَنَّهُ أَخف نُطْقًا وَأَسْهَل لَفْظًا عَلَى اللِّسَان مِنْ رَبْطه بِالهَمْزَة، وَلِوَظَائِف إِيقَاعِيَّة دَاخِل النَّصّ وَلِلضَّرُورَة الشِّعْرِيَّة حَتَّى يَسْتَقِيم النَّصّ مَعَ وَزْنه الشِّعْرِي عروضيا وَهُوَ وَزن السَّرِيع الَّذِي نُظمَتْ عَلَيْهِ القَصِيدَة.

(١) محمود، حيدر، ديوان المنازلة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١م، ط٢، ص٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِمَّا جَاءَ فِي حَذْف الهَمْزَة مِنْ آخَر الإِسْم المَمْدُود فِي قَصِيدَة (المَفْرق):

"اِعْذِرِي طُولَ غَيْبَتِي

عَنْكِ، يَا ((وَاحَة النّقا))!"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَةُ اللَّفْظِيَّةُ فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

النقا ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

النقاء ← الأَصْلُ

تَطَابق

إِذْ نُلَاحِظ فِي هَذَا التَّخْطِيط أَنَّ الشَّاعِر عَدَلَ عَنْ الأَصَل وَهُوَ قَول: (النَّقَاء)، إِلَى حَذْف حَرْف مِنْ آخَر الكَلِمَة وَهُوَ الهَمْزَة فِي قَوْله: (النّقا)، وَالسَّبَب الوَاضِح الَّذِي دَعَا الشَّاعِر إِلَى حَذْف (الهَمْزَة) هُوَ سَبَب بلاغيّ وَهُوَ الإِطلاق، وَكأنّ النّقاء مُمتَد لا حَدَّ لَه ولا قفل، ولِاسْتِقَامَة وَزَن البَيْت مَعَ البَحْرِ الَّذِي نَظمَ الشَّاعِر قَصِيدَته عَلَيه وَهُوَ بَحْر المُقْتَضَب.

وَلَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا النَّمَط أَيْضًا مَا جَاءَ فِي حَذْف الأَلْف مِنْ آخر الكَلِمَة وَتُحْذف فِي مُوَاطِنَ خَاصَّةٍ، وَمِنه فِي قَصِيدَة (لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشُّعْر،):

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"الشِّعْرُ جَاءَ إِلَيْكَ، فَافْتَحْ بَابَكَ اِلـ

عَالِي، لِتَمْتَلِئ الدّني: أَعْيَادًا"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّةفِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوالآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

الدني ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

الدنيا ← الأَصْلُ

تَطَابق

فَفِي هَذَا التَّخْطِيط يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الشَّاعِر عَدَلَ عَنْ الأَصل وَهُوَ قَوْل: (الدُّنْيَا)، إِلَى حَذْف الحَرْف الكَامِن فِي كَلِمَة (الدُّنَى)، وَلَعَلَّ الشَّاعِر حَذف (اليَاء) لِسَبَبَين:أَوّلُهما: لِلدَّلَالَة عَلَى سَعَة المَسَّاحَة الَّتِي سَيَغْمُرُهَا الفَرَح القَادِم بِسَبَب الشِّعْر الَّذِي صَرَّحَ بِهِ الشَّاعِر، فَعِنْدَ نُطق كَلِمَة (الدُّنَى) بَدَلًا مِنْ (الدُّنْيَا) تَشْعُرُ بأنّ هُنَاكَ مَجَال أَوْسَع وأرحب لِلفَرَح وَالسَّعَادَة وَمِنْ شِدَّة فَرَح الشَّاعِر بِهَذَا الشِّعْر الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ رأى أَنَّ حَذْف اليَاء أَفْضَل لِلتَّعْبِير عَنْ مَشَاعِره بِالآتي يَجْعَلُ المتلقي يُشَارِكُ فَرْحَته، وثانيها: لِيَسْتَقِيم النَّصّ مَع وَزْن البَيْت الشِّعْرِي وَهُوَ عَلَى وَزْن بَحْر الكَامِل الَّذِي نُظمتْ عَلَيْهِ القَصِيدَة.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِنه أَيْضًا مَا جَاءَ فِي حَذْف هَمْزَة الِاسْتِفْهَام، الذي كَانَ لَه أَثر فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَكْنُونَات الشَّاعِر النَّفْسِيَّة وَالبَلَاغَة الَّتِي يُرِيدُ إِيصَالها إِلَى المتلقي، وَمِنه فِي قَصِيدَة (إِلَى طِفْلَةٍ، تَتَوَهَّجُ):

"وَأَحْزَنُ حِينَ أُلَاقِيكِ،

أَفْرَحُ حِينَ أُلَاقِيكِ،

قدّيسةٌ أَنْتِ،

أَمْ.. فَاجِرَهْ؟!"(١)

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

قدّيسة ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

أقدّيسة ← الأَصْلُ

تَطَابق

وَمِنْ هَذَا النوع أَيْضًا فِي قَصِيدَة (مِنْ قَاعِ البِئْرِ):

"فَاسْقِنِي (يَا صَاح) حَتَّى لَا أعِي

زَلَّتِي تُؤْلِمُنِي..

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَمْ.. وَرَعْي!"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

زلّتي ←——————— حَذْف

عُذُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

أزلّتي ←——————— الأَصْلُ

تَطَابق

فَالأَبْيَات السَّابِقَة جَاءَتْ شاهدة عَلَى أَنَّهَا تُفِيدُ الاِسْتِفْهَام لِغَرَض دَلَالِي لَكِن دُون أَدَاة مِنْ أَدَوَاته أَلَا وَهُوَ الإِخْبَار التقريري وَالاِسْتِفْهَام تَحَيُّرًا؛ فَفِي المَقْطَع الأَوَّل: (قدّيسة أَنْتِ أَمْ فَاجره؟!)، وَالتَّقْدِير: (أقدّيسة أَنْتِ أَمْ فَاجر؟!)، فَحذف حَرْف الاِسْتِفْهَام لِتَأْدِيَة مَعْنِيين: أَوَّلهما: الإِخْبَار تَقْرِيرًا وَإِثْبَاتًا بِرُؤْيَة حَقِيقِيَّة وَعَقِيدَة رَاسِخَة لَدَى حَيْدَر مَحْمُود اِتِّجَاه الطِّفْلَة، مِنْ أَنَّهَا الطَّاهِرَة وَالنَّقِيَّة، وَالفَاسِقَة والعاصية، وثانيهما: الاِسْتِفْهَام المُفِيد لِلتَّحَيُّر بِمَكَانة الطِّفْلَة الرَّفِيعَة وَالدَّنِيئَة.

وَفِي المَقْطَع الثَّانِي: (زَلَّتِي تُؤْلِمُنِي أَمْ وَرَعي!)، وَالتَّقْدِير: (أزلّتي تُؤْلِمُنِي أَمْ وَرَعي!)، وَلَا يَجُوز حَذْف هَمْزَة الاِسْتِفْهَام إِلَّا بِوُجُود قَرِينَة تَدُلُّ عَلَيْهَا، وَالوَاضِح مِنْ خِلَال هَذَيْن المَقْطَعَيْن أَنَّ هُنَاك قَرِينَة تَدُلُّ عَلَى الاِسْتِفْهَام وَهِيَ وُجُود (أَم) فِي السِّيَاق الَّتِي تَدُلُّ عَلَى السُّؤَال عَنْ شَيْئَيْن، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ النحاة شَرْطًا رَئِيسِيًّا عِنْدَ حَذْف أَدَاة الاِسْتِفْهَام لِأَمْن اللَّبْس عَلَى المتلقي. وَلَقَدْ حَذَفَ الشَّاعِرُ الهَمْزَة لِلتَّخْفِيف فَكَثْرَة الاِسْتِعْمَال تَسْتَلْزِمُ الحَذْف، ولِأَنَّ الوَزْن لَا يَسْتَقِيم إِلَّا بِتَقْدِيرها.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَيَرَى النحاة أَنَّ (الهَمْزَة) هِيَ الأَدَاة الوَحِيدُة الَّتِي يَجُوز حذفها مِنْ أَدَوَات الاِسْتِفْهَام وَلَا يَجُوز فِي غَيْرِها، لِأَنَّهَا أُمّ البَاب، وَأَكْثَر مَا يُوجَدُ الحَذْف فِيهَا مَع (أَم) لِأَنّ فِيهَا دَلِيلاً عَلَيْهَا، قَال ابن السّرَاج: "وَاعلَمْ أَنَّ جَمِيع مَا يحذف فَإِنَّهُمْ لَا يَحْذِفُونَ شَيْئًا إِلَّا وَفِيمَا أُبْقَوْا دَلِيلًا عَلَى مَا أَلقَوا"(١).

وَمِنْ الأَنْوَاع الأُخْرَى الَّتِي جَاءَتْ فِي حَذف هَذَا النَّمَط هُوَ حَذْف اللام الوَاقِعَة فِي جَوَاب (لَوْ) لِلدَّلَالَة عَلَى سُرْعَة الاِسْتِجَابَة وفوريّتها، وَمِمَّا وَرد مِنه فِي قَصِيدَة (مَرْثِيَة الحَقِيقَة):

"لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ الحِيتَانِ، مَات،

حَدَّتْ الحِيتَانُ كُلّهَا، عَلَيْهِ.."(٢)

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

حدّت ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

لحدّت ← الأَصْلُ

تَطَابق

عَدَلَ الشَّاعِر فِي المَقْطَع الشِّعْرِي عَنْ النِّظَام اللُّغَوِي المِعْيَارِي؛ حَيْثُ حَذف الشَّاعِرُ اللام الوَاقِعَة فِي جَوَاب (لَوْ) فِي قَوْلِهِ: (حَدَّتْ)، وَالأَصْل اللُّغَوِي أَنْ يُقَال: (لَحَدَّتْ)، فِيكُون الجَوَابُ مَاضِيًا مُثْبَتًا وَالغَالِب عَلَى المُثبَت دُخُول اللام عَلَيْه، لَكِنَّهُ فِي بَعْض الأَحْيَان تَتَجَرَّدُ مِنهااللام

(١) ابن السراج، محمد سهل، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ١٩٨٥م، ط١، ص٢٤٥.

(٢) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِأَغْرَاض بَلَاغِيَّة فِي نَفْس الشَّاعِر تُسْتَنْبَطُ مِنْ السِّيَاق النَّصِّي، وَهِيَ فِي هَذَا النَّصّ لِلدَّلَالَة عَلَى سُرْعَة اِسْتِجَابَة الحِيتَان وفَوريّتها فِي الحداد عَلَى الحُوت المَيِّت، فَكَأَنَّ حَذْف اللام يُوْحِي بِحَذْف الفَاصِل الزَّمَنِيّ بَيْنَ مَوت الحُوت وَاِسْتِجَابَة الحِيتَان فِي الحداد.

وَمِنْ هَذَا النَّوْع أَيْضًا فِي حَذْف اللام فِي جَوَاب (لَوْ) مَا جَاءَ لِلدَّلَالَة عَلَى المُبَاشَرَة فِي قَصِيدَة (مُحَاوَلَة اِعْتِذَار لعرار):

"وَأَصْرُخُ:

لَوْ كَانَ سَيْفِي مَعَي،

آهِ.. لَوْ كَانَ سَيْفِي مَعَي

مَا اِسْتَبَاحَتْ رِمَالُ الصَّحَارِي

نَخِيلِي."[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

ما استباحت ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

لما استباحت ← الأَصْلُ

تَطَابق

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٣٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فِي المَقْطَع الشِّعْرِي حَذف الشَّاعِر اللام الوَاقِعَة فِي جَوَاب (لَوْ) فِي قَوْلِهِ: (مَا اِسْتِبَاحَت)، وَالأَصْل اللُّغَوِي أَن يُقَال: (لِما اِسْتِبَاحَت)، إِلَّا أَنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ لِلدَّلَالَة عَلَى المُبَاشَرَة في الاستجابة بَيْنَ سَيف الوَطَن وَالرِّمَال؛ فَكَأَنَّ الشَّاعِر يَقُول: لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ السّيفلَعَلِمَتْ الرِّمَال مُبَاشَرَة أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيع أَخذ مَا اِسْتَبَاحَته مِنْ بِلَاد وَأَعْرَاض وَنُفُوس؛ لِأَنَّ قُوَّتِي بِالسّيف وَالسِّلَاح، فَلَوْ مَلَكَته لِما اِسْتَطَاعَتْ الرِّمَال الوُصُول إِلَى مَا وَصَلت إِلَيه، إِلَّا أَنَّ الوَقْت قَدْ فَات وَلَيْسَ فِي اليَد حيلة سِوَى إِطْلَاق صَرَخَات التَّحسر وَالتَّوَجُّع عَلَى ضِيَاع سَيفه وَسِلاحه الَّذِي جَعله رَهِينَة لِلخَوْف وَالنَّهْب وَالاِسْتِبَاحَة.

وَلَقَدْ جَاءَ نَوْع آخَر مِنْ الحَذْف فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود وَهُوَ حَذْف الفاء الوَاقِعَة فِي جَوَاب الشَّرْط، وَمِمَّا وَرَد مِنْ هَذَا النَّوْع فِي قَصِيدَة (يَا وَلَدِي،):

"يَا وَلَدِي!

وَارْكَبْ كُلَّ المَوْجِ،

فَإِنْ لَمْ تَقدِرْ

مَارِس ((طَقْسَ الإِسْفَنْجِ))"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

مارس ⟵ حَذْف

عُدُول

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

فمارس ⟵ الأَصْلُ

تَطَابق

فِي هَذَا المَقْطَع الشِّعْرِي حَذَفَ الشَّاعِر الفاء الوَاجِب اِقْتِرَانها بِجَوَاب الشَّرْط فِي قَوْلِهِ: (مَارِسْ)؛ حَيْث إِنَّ الجُمْلَة فِعْلِيَّة طَلَبِيَّة، وَالأَصْل اللُّغَوِي أَنْ يُقَال: (فَمَارِسْ)، إِلَّا أَنَّهُ حَذَف الفاء كَي يدلّل عَلَى سُرعَة الاستِجابة المَطلوبَة فِي حال هُوَ لَمْ يَقدر، ولِلضَّرُورَة، فَالوَاجِب أَنْ تَقْتَرِنَ الفاء فِي الجُمْلَة، لِأَنَّ هُنَاك نَوْعَان مِنْ الأَفْعَال الوَاقِعَة فِي جَوَاب الشَّرْط: فَالأُولفِعل لَا يَحْتَاج إِلَى فاء وَيصلح أَنْ يَكُون جَوَابًا لِلشَّرْط، وَالثّاني: يَحْتَاج إِلَى فاء ليدلّ عَلَى اِرْتِبَاطه بِالشَّرْط كَالجُمْلَة الفِعْلِيَّة الطَّلَبِيَّة وَالجُمْلَة الاِسْمِيَّة.

وَقَدْ اِخْتَلَفَ النحاة فِي حَذْف الفاء الوَاقِعَة فِي جَوَاب الشَّرْط، يَقُولُ سِيبَوَيْه: وَسَأَلْتُهُ – يَعْنِي الخَلِيل – إِنْ تَأْتني أَنا كريم، فَقَالَ: لَا يَكُون هَذَا إِلاأَنْ يَضْطَرّ شَاعِر...[1]. وَذَهَبَ المبرد إِلَى مَنْع ذَلِك حَتَّى فِي الشِّعْر، أَما ابن مَالِك فَقَال: "يَجُوز فِي النَّثْر نَادِرًا"[2]، بَيْنَمَا الأَخفش فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ وَاقِع فِي النَّثْر الفَصِيح، وَمَثّلَ لَه بِقُوله تَعَالَى: **{إِن تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّة لِلوَالِدِين**[3]**}**.

٢ – حَذْف الكَلِمَة:

يَتَضَمَّنُ طَرَفِي الكَلَام الاِسم وَالفِعْل وَيَتَمَثَّلُ فِي حَذْف المُبْتَدَأ وَالخَبَر وَالصِّفَة وَالمَوْصُوف وَالمُضَاف وَالمُضَاف إِلَيْه وَغَيْرها، وَالأَمْر الَّذِي يُحِيلُ الشَّاعِر عَلَى حَذْف الوَحْدَة التَّعْبِيرِيَّة الوَاحِدَة مِنْ النَّصّ (كَلِمَة) هُوَ رَغْبَته فِي تَحْقِيق نَوع مِنْ الإِثَارَة الدَّلَالِيَّة، الَّتِي سَتَجْعَل المُلْتَقِي مستفزًا وَمُتَوَثِّبًا

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج٣، ص٦٤.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ج٢، ص١٦٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِلوُصُول إِلَى جَوْهَر النَّصّ وَكَشْف أَسْرَاره الكَامِنَة فِيه، وَغَالِبًا مَا يَأْتِي هَذَا النَّوْع فِي النَّصّ مُقترنًا بِظَاهِرَة التَّنْقِيط الدَّالَّة عَلَى التَّلَاشِي، وَمِنْ هَذَا النَّمَط فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مَا جَاءَ فِي حَذْف المُبْتَدَأ فِي قَصِيدَة (لَوْ...):

"وَنَحْنُ، يَا الله

كَمْ نَحْنُ.. مُؤَدِّبُونَ!!

وَنَحْنُ.. يَا الله..

كَمْ نَحْنُ مَعَ الأَعْدَاء..

طَيِّبُونَ!

حَتَّى حُدُودِ الذَّبْحِ.. طَيِّبُونَ

حَتَّى حُدُودِ الصُّلْحِ.. طَيِّبُونَ!"(١)

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... طيبون ← حَذْف

عُدُول

... طيبون ← حَذْف

عُدُول

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

نحن طيبون ←——————— الأَصْلُ

تَطَابق

نحن طيبون ←——————— الأَصْلُ

فَفِي هَذَا المَقْطَع الشِّعْرِي حَذَفَ الشَّاعِر المُبْتَدَأ مَرَّتَيْن وَهُوَ الضَّمِير المُنْفَصِل (نَحْنُ)، وَذَلِكَ لِتَكْثِيف الدَّلَالَة عَلَى الخَبَر وَإِبْرَاز الصِّفَة الَّتِي تُبيّن حَالهم، إِشَارَة مِنْه إِلَى الشَّفَقَة المُنْبَعِثَة مِنْ نَفْسه عَلَى الحَال الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ نَتِيجَة الطِّيبَة وَالضُّعْف الَّذِي جَعَلَهم يَنْهَبُونَ بِلَادهم، وَيَقْتُلُونَ رِجَالَهم وَنِسَاءهمْ وَأَطْفَالهم، لِأَنَّ الطِّيبَة ضُعْف إِنْ لَمْ يَحْرُسهَا السَّيْف. فَالحَذْف عُدُول تَرْكِيبِيّ سَعَى مِنْ خِلَاله الشَّاعِر إِلَى إِلْصَاق صِفَة الطِّيبَة فِيهِمْ، وَلَمَّا كَانَ العَرَب طَيبين مَع الأَعْدَاء، عَدَلَ عَنْ المُبْتَدَأ لِيَصِل بالمتلقي إِلَى صِفَتهم مُبَاشَرَة، فَالإِيحَاء الَّذِي يَهْدُف إِلَيْه الشَّاعِر مِنْ الحَذْف هُوَ إِثَارَة المَشَاعِر وَالأَحَاسِيس العَمِيقَة.

وَمِنه أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (الهُرُوبُ، عَلَى ظَهْرِ قَصِيدَة):

"قَاتِلٌ كَالنَّفْطِ، وَالمِلْحُ،

عَلَى رَمْلِ الفيافي.."[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطِي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... قاتلٌ ←——————— حَذْف

عُدُول

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة العَمِيقَة:

أنت قاتلٌ ⟵ الأَصْلُ

تَطَابق

فِي مَطْلَع هَذِه الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة وَقَعَ خَبَرا لمبتدأ مَحْذُوف يدل عَلَيْه السِّيَاق تَقْدِيره الضَّمِير المُنْفَصِل (أَنْتَ)، وَالأَصْل أَنْ يُقَال: (أَنْتَ قَاتِلٌ كَالنَّفْطِ وَالمِلْحِ)، وَلَكِن الشَّاعِر أَرَادَ مِنْ خِلَالهالتّركيز عَلَيه، وَالَّذِي يعدّ صِفَة تُبَيِّنُ حَال المُبْتَدَأ. وَيَعْمِدُ حيدر محمود إِلَى حَذْف المُبْتَدَأ فِي الجُمْلَة الاِسْمِيَّة فِي مَقَام القَطْع وَالاِسْتِئْنَاف الَّذِي يطْرد فِيهِ هَذَا النَّوْع مِنْ الحَذْف، وَذَلِكَ لِبَث الحَرَكَة وَالحَيَوِيَّة وَبَعْث الرُّوح وَالنَّشَاط فِي التَّرْكِيب، وَنَلْتَمِس هَذِه الظَّاهِرَة فِي صدر الأَبْيَات وَالمَقَاطِع الشِّعْرِيَّة.

وَمِنْ الأَمْثِلَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (أَيُّوبُ الفِلَسْطِينِي):

"هَلْ صَاحِبِي.. صَاحِبِي؟!

(مِنْ ذَا يُجَاوِبُنِي..)

وَهَلْ عَدُوِّي.. عَدُوِّي؟!

(مِنْ سيفتيني!)" [1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّةفِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... صاحبي ⟵ حَذْف

عُدُول

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

... عدوّي ←——————— حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

هو صاحبي ←——————— الأصلُ

تَطَابق

هو عدوّي ←——————— الأصلُ

تَطَابق

فَفِي هَذَا التَّخْطِيط يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الشَّاعِر عَدَلَ عَنْ الأَصَل بِحَذْف كَلَمِة مِنْ مَوْقِعَيْنِ تَأْتِي الأُولى بَيْنَ كَلِمَتِي (صَاحِبِي، صَاحِبِي)، وَتَأْتِي الثَّانِيَة بَيْنَ كَلِمَتِي (عَدُوِّي، عَدُوِّي)، وَالكَلِمَة المَحْذُوفَة هِيَ فِي التَّقْدِير الضَّمِير المُنْفَصِل (هُوَ) الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ سِيَاق النَّصّ فِي كِلْتَا الحَالَتَيْن، وَلَعَلَّ الَّذِي دَعَا الشَّاعِر إِلَى القِيَام بِهَذَا الحَذْفِ هُوَ سَبَبَان: أَولُهما لِلدَّلَالَة عَلَى صَدْمَة نَفْسِيَّة مُحْزِنَة أَحَاطَتْ بِهِ بِسَبَب اِضْطِرَاب المَوَازِين، إِذْ إِنَّ الشَّاعِر لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى التَّفْرِيق وَالتَّمْيِيز بِين صَدِيقه وَعَدُوّه، ثُمَّ إِنَّهُ بِهَذَا الحَذْف يُثِيرُ الشُّكُوك المُنْبَعِثَة فِي نَفْسه مِنْ أَنَّ عَدُوَّهُ هُوَ عَدُوُّهُ، وَأَنَّ صَدِيقَهُ هُوَ صَدِيقُهُ، فَلَوْ أَثْبَتَهُمَا لَكَانَ هُمَا هُمَا وَلِمَا أَحْتَاج لِإِثَارَة الشَّكّ وَالإِبْهَام فِي نَفْسِ المُتَلَقِّي، وثانيهما: الجَانِب الصَّوْتِي (الإِيقَاعِي) الَّذِي اِضْطَرَّ الشَّاعِر إِلَى القِيَام بِهِ فِي سَبِيلالمُحَافَظَة عَلَى الوَزْن الشّعْرِي وَهُوَ وَزْن البَسِيط.

وَمِنْ الأَمْثِلَة عَلَى هَذَا النَّمَط مَا جَاءَ فِي حَذْف الفِعْل، حَذْف الرُّكْن الأَسَاسِي مِنْ أَرْكَان الجُمْلَة الفِعْلِيَّة فِي التَّرْكِيب الَّذِي يَتَحَقَّقُ مِنْ خِلَاله الكَشْف عَنْ الزَّمَن وَالإِشَارَة إِلَى الفَاعِل، وَمِنه فِي قَصِيدَة (حَتَّى يَقول لَنَا الأَقْصَى: كَفى مهجًا..):

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"حَتَّى الجمادُ، لَهُ حَدٌّ، يَذُودُ بِهِ

عَنْهُ (وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَذِّي فِيهِ!)"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

ينضح ← الأَصْلُ

تَطَابق

إِذْ نُلَاحِظ فِي هَذَا التَّخْطِيط أَنَّ الشَّاعِر عَدَلَ عَنْ الأَصَل وَهُوَ قَول: (يَنْضَح)، إِلَى حَذْف الكَلِمَة تَمَامًا مِنْ البَيْت الشِّعْرِيّ، وَالَّذِي دَلَّنَا عَلَى هَذَا الحَذْف وَجُود قَرِينَة لَفْظِيَّة وَهِيَ كَلِمَة (إِنَاء)؛إِذَ تُمَثِّلُ هَذِهِ الكَلِمَة جُزْءًا مِنْ أَحَد الأَمْثَال العَرَبِيَّة المَعْرُوفَة وَهُوَ قُولهم (وَكُل إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَح)، وَلَعَلَّ الشَّاعِر حَذَفَ الكَلِمَة لِسَبَبَيْن: أَولهما سَبَب دَلَالِي وَذَلِكَ ليثير القَارِئ وَيَسْتَفِزّه لِلِانْقِضَاض عَلَى النَّصّ وَمَعْرِفَة مَا يَقْصِده الشَّاعِر مِنْ وَرَاء هَذَا الحَذْف الَّذِي جَعَلَ القَارِئ يَقَعُ فِي دَوَامَة مِنْ التَّفْكِير وَالبَحْث المُسْتَمِرّ عَنْ إِجَابَات لِأَسْئِلَته، وكأنّ هَذا النّضج قَدْ وَقَعَ حَقِيقَة، وَما دام هُو قَد وَقع فإنّ أَثَره فِي الظهور الكِتَابِي قَد زَال، وثانيها سَبَب إِيقَاعِي وَذَلِكَ لِإِسْتِقَامَة وَزْن البَيْت مَعَ البَحْر الَّذِي نَظم الشَّاعِرُ قَصِيدَته عَلَيْه وَهُوَ بَحْر البَسِيط، فَلَوْ أُتى الشَّاعِرُ بِالكَلِمَة لِأَخْتَلَّ وَزن البَيْت.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَنُلَاحِظ أَنَّ هَذَا الحَذْف جَعَلَ الجُمْلَة نَاقِصَةً مِنْ جِهَتَيْنِ: الأُولَى تَرْكِيبِيَّة، وَالثَّانِيَة دَلَالِيَّة، إِلَّا أَنَّ هَذَا النُّقْصَان مَا هُوَ إِلَّا مِنْ أَجْل تَكْثِيف الدَّلَالَة وَزِيَادَة المَعْنَى فِي الفَاعِل، وَهُوَ فِي الجُمْلَة الأُولَى (الرُّجُولة)، وَفِي الجُمْلَة الثَّانِيَة (البُطُولة)، مِمَّا يَسْتَدْعِي الأَمْر الِانْتِبَاه وَالتَّوَقُّف وَالتَّأَمُّل فِي مَا يُرِيده الكَاتِب مِنْ هَذَا الحَذْف.

وَمِنْ الأَمْثِلَة عَلَى هَذَا النَّمَط حَذْف خَبَر كَانَ فِي قَصِيدَة (رِسَالَةٌ إِلَى صِلَاح الدِّينَ):

"وَحَرَّرَنِي مِنْ الغُرَبَاءِ

فَقَدْ عَادُوا، لِيَنْتَقِمُوا

مِنْ الأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ حِجَارَتُهَا

سُيُوف فَدَاءْ..

وَمَا زَالَتْ حِجَارَتُهَا،

سُيُوف فَدَاءْ..

وَكَانَ المَاءُ، جُنْدِيًّا

يقضُّ مَضَاجِعَ الأَعْدَاءِ

وَكَانَ تُرَابُهَا..

وَيَظَلُّ.. نَارًا تَأْكُلُ الأَعْدَاءْ.."[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٥٨- ٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

كان ترابُها ... ←———————— حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

كَانَ تُرَابُهَا نَارًا ←———————— الأَصْلُ

تَطَابق

حَذَفَ الشَّاعِر خَبَر كَانَ فِي قَوْلِهِ: (كَانَ تُرَابُهَا)، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِر أَنْ يُقَال: (كَانَ تُرَابُهَا نَارًا)، وَالَّذِي دَلّنَا عَلَى هَذَا الحَذْف الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة اللاحقة لِلحَذْف وَالَّتِي يَقُول فِيهَا: (وَكَانَ تُرَابُهَا نَارًا وَيَظَلُّ تُرَابُهَا نَارًا تَأْكُلُ الأَعْدَاء) فَهُوَ بِذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى أَدَوَات الحَرْب لِلأَرْض المُقَدَّسَة ضِدّ الأَعْدَاءأَلَا وَهِيَ الحِجَارَة وَالتُّرَاب بِالإِضَافَة إِلَى المَاء.

وَلَا بُدّ مِنْ الإِشَارَة إِلَى أَنَّ مِثْل هَذِه القُدْرَات الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا المُبْدِعُ تَكُونُ فِي الوَاقِع أَوْسَع وَأُرَحب مِنْ تَحْدِيدها بِرُسُوم مُحَدَّدَة وَتَعْقِيدَات نَزْعم فِيهَا أَنَّ الحَذْف هُنَا لكذا وَالحَذْف هُنَا لكذا، وَلَكِن نَتْرُك الأَمْر للمتلقي وَذَوْقه قدْ يُحِسُّ بِالحَذْف، أَمّا النَّسْق اللُّغَوِي قَدْ لَا يَشْعُر بِهَذَا الحَذْف المتوهم وَلَكِن يَبْقَى الشِّعْر حَامِلًا ظلاله التأثيرية وَالفَنِّيَّة[1].

وَمِمَّا وَرَدَ فِي حَذْف الكَلِمَة أَيْضًا مَا جَاءَ فِي حَذْف المُضَافإِلَيْه فِي قَصِيدَة (لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشِّعْرُ،):

(١) ينظر: عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ط٢، ص٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"يَا شِعْرُ، يَا أَلْقِي الَّذِي لَمْ يَنْطَفِئْ

يَوْمًا.. عَلَيْكَ بِهِمْ، رُبَىً، ووهادا"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

يا شعرُ ◄——————— حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

يا شعري ◄——————— الأَصْلُ

تَطَابق

فَحَذَفَ الشَّاعِرُ المُضَاف إِلَيْهِ، وَهُوَ يَاء المُتَكَلِّم مِنْ قَوْلِهِ: (يَا شِعْرُ)، وَالأَصْل أَنْيُقَال: (يَا شِعْرِي)؛ لِيَدُلّ عَلَى عَظْمَة الشّعْر الَّذِي بَقِيَ لَهُ نُورَا وَإِشْرَاقًا وَبَهَاءً، وَكَي لا يُقَيّد فَضاء الشِّعر بِالإِضافَة إِلَى ياء المُتَكَلّم بَلْ لِيَطلق لِهَذا الشّعر تَحلِيقه، وَالَّذِي دَلَّنَا عَلَى هَذَا الحَذْف قَوْله: (أَلْقِي) أَي إِشْرَاقِي وَنُورِي.

وَلَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا النَّمَط أَيْضًا مَا جَاءَ فِي حَذْف المُنَادَى بِسَبَب دُخُول حَرْف النِّدَاء عَلَى الحَرف، كَدُخُوله عَلَى الحَرْف (لَيْتَ) فِي قَصِيدَة (تَدَاعِيَات ((عبدونية)):

"– حَيْدَر مَحْمُود؟

كُنْتُ أَظُنُّكَ فَارقْت الدُّنْيَا

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

– يَا لَيْتَ.."[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْلِ تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

يا + الحَرْف (لَيْتَ) ⟵ حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة

يا + اسم ⟵ الأصل

تَطَابُق

فِي السَّطْر الأَخِير مِنْ المَقْطَع الشِّعْرِيّ جَاءَ حَرْف النِّدَاء اليَاء دَاخِل عَلَى الحرف وَهُوَ (لَيْتَ)، إِدْلَالًا مِنه عَلَى شِدَّة ضيقَة مِنْ الدُّنْيَا وَتبَرُّمه مِنْ أَحْوَالها الَّتِي عَافَتْهَا نَفْسُه بِتَقَلُّبِهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَال، إِذْ إِنَّهَا تُعْقِبُ المَسَرَّة بالمَضَرّةِ، وَالبَقَاءَ بِالفَنَاءِ، وَلَا يخفى مَا فِي مَدّ الأَلْف مِنْ قَوْلِهِ (يَا) مِنْ مَدّ مَسَاحة التَّأَوّه وَالضَّجَر البَالِغ في البوحِ، وَمَا فِي حَذْف المُنَادَى مِنْ إِبْرَاز لِهَذَا التَّنْغِيم المُتَأَوّه الضَّجر، وَإِصرار عَلَى عَدَم إِبرَاز الذّات كَي تَتَنَاغم وَحَال الاختفاء لِنَفس الشّاعر الحائرة، فلما لَمْ يَأْلفِ النحاة دُخُول هَذِه الأَدَاة عَلَى الحرف، وَأَنّهَا مُخْتَصَّة بِالأَسْمَاء قَدَّرُوا المُنَادَى المَحْذُوف لِغَرَض بَلَاغي قَدْ يَكُون لِلتَّعْظِيم أَوْ لِلصَّوْن لَهُ مِنْ الِابْتِذَال، دَلَّ عَلَيْهِ حَرْف النِّدَاء[2].

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤١٣.

(٢) ينظر: العوضي، زكي علي سالم، الحذف في سيفيات المتنبي تركيبا ودلالة، إشراف: سمير استيتية، جامعة اليرموك، إربد– الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمِمَّا وَرَدَ فِي حَذْف المُنَادَى أَيْضًا مَا جَاءَ فِي دُخُول حَرْف النِّدَاء عَلَى الفِعْل فِي قَصِيدَة (كَمَا تَشَائِين):

"وَأَنْتِ (يَا سَلّمك اللهُ) الملَاكُ المُنْزَلُ!!

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْلِ تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

يا + الفعل (سلّم) ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة

يا + اسم ← الأصل

تَطَابُق

فِي السَّطْر الشِّعْرِيّ دَخَلَ حَرف النِّدَاء (يَا) عَلَى الفِعْل (سلّم)، وَالصَّوَاب أَنْ يَدْخُل حَرْف النِّدَاء عَلَى الاِسْم، وَهُوَ أُسْلُوب يُولد المُفَاجَأَةَ وَالدَّهْشَةَ وَالعَجَب فِي نَفْس المُتَلَقِّي ويَجْذِبه ويشدّ ذِهْنه لِهَذِه المُخَالَفَة النَّحْوِيَّة، وَرُبَّمَا التَّقْدِير (يَا مَنْ سلّمك اللهُ)، وَكَون الـ(يا) لَا تَدْخُل إِلَّا عَلَى اِسْم قُدِّر المُنَادَى فِيه.

وَمِنْ الأَمْثِلَة أَيْضًا عَلَى هَذَا النَّمَط مَا جَاءَ فِي حَذْف ضَمِير الشَّأْن فِي قَصِيدَة (الحُبُّ يَبْدَأ مِنْ أَوَّل السَّطْر):

"وَأَنَا الآنَ عِنْدَكَ، تَعْلَمُ أَنْ

لَيْسَ فِي النَّفْس، إِلَّا هَوَاكْ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَا حَبِيبِي..

وَتَعْلَمُ أَنْ لَمْ تَضُمَّ الحنايا

سِوَاكْ..!"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

تعلم أنْ ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

تعلم أنّه ← الأَصْلُ

تَطَابق

حَذَفَ الشَّاعِرُ ضَمِير الشَّأْن فِي مَوْضِعَيْنِ بَعْد تَخْفِيف (أَنَّ) فِي قَوْلِهِ: (تَعْلَمُ أَنْ.. وَتَعَلمُ أَنْ..)، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِر أَنْ يُقَال فِي المَوْضِعَيْنِ (وَتَعْلَمُ أَنَّهُ)، إِلَّا أَنَّهُ يَجِب حَذْف ضَمِير الشَّأْن مَع (أَنْ المُخَفِّفَة)، فَلَوْ أَتَى بِالأَصْل اللُّغَوِي لِأَخْتَلَّ اِسْتِقَامَة وَزْن البَيْت الشِّعْرِي مَعَ البَحْر الَّذِي نظم الشَّاعر عَلَيْه قَصِيدَته وَهُوَ بَحْر المُتَدَارك.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٢٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣ – حَذْف عِبَارَة أَوْ جُمْلَة:

الجُمْلَة تَرْكِيب يَتَكَوَّن مِنْ أَكْثر مِنْ عُنْصُر يُعْطِي مَعْنى مُفِيد، وَيَنْقَسِم إِلَى نَوْعَيْنِ: الجُمْلَة الإِسْمِيَّة وَهِيَ الَّتِي تُبْدَأ باسم يَكُونُ مَدَار الاِهْتِمَام، وَالجُمْلَة الفِعْلِيَّة وَهِيَ الَّتِي تُبْدَأ بِفِعْل يَكُون أساس الجملة. وَيُعَدُّ هَذَا النَّمَط مِنْ بَيْن أَنْمَاط الحَذْف الأعقد وَالأَكثر أَهَمِّيَّة لِأَنَّ الجُمْلَة ذَات تَرْكِيب مُسْتَقِلّ فَإِذا حُذِفتْ أَحَد عَنَاصِر هَذَا التَّرْكِيب سَيحدث خَلَلًا فِي المَعْنَى، وَنَقْصاً فِي الغَرَض المَقْصُود، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَي شَخْص أَنْ يُرَتب كَلَامه بناء عَلَى ظَاهِرَة الحَذْف إِلَّا المُبْدِعلِما لَها مِنْ دَوْر كَبِير فِي تَعْمِيق دَلَالَة الجُزْء الغَائِب إِنْ صَحّ التَّعْبِير بَلْ دَلَالَة النَّصّ بِأَكْمَله، فَهيَتثير فِي القَارِئ أَنْوَاعا مِنْ الإِيحَاءَات النَّصِّيَّة لِلوُصُول إِلَى الفَضَاء الحقيقي لِعَالم النَّصّ.

وَلَقَدْ تَطَرّق مُعْظَم النحاة إِلَى حَذْف الجُمْلَة وَالحَدِيث عَنْهَا، بَلْ إِنَّ بَعْضهم أَفْرَدَ قِسْمًا خَاصًّا فِي بَاب الحَذْف، وَمِنهم ابن جني الَّذِي خَصَّصَ لَهُ بَابًا بِاسم شَجَاعَة العَرَبِيَّة، فَتَحَدَّثَ عَنْ حَذْف الجُمْلَة فِي القَسَم، وَفِي أَسَالِيب: الأَمْر، وَالنَّهْي، وَالتَّخْصِيص وَالتَّحْذِير وَالإِغْرَاء وَالخبر وَالشَّرْط[١].

وابن هِشَام الّذي تَحَدّث عَنْ حَذْف الجُمْلَة أَيْضًا، كَحَذْف جُمْلَة الشَّرْط، وَجُمْلَة جَوَابه، وَجُمْلَة القَسَم، وَجُمْلَة جَوَابه، وَعَنْ حَذْف الجُمْلَة بَعْدأَحْرُف الجَوَاب، مثل: نَعَمْ، وَلَا، بَلَى، وَكلا، وَبَعْدَ نِعْمَ وبِئسَ، وَبَعْدَ حُرُوف النِّدَاء، كَمَا فِي (يَا لَيْتَ)، وَبَعْدَ (إِنْ) الشُّرْطِيَّة، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الحَذْف[٢].

وَمِنْ بَيْن النُّصُوص الشِّعْرِيَّة لِحَيْدَر مَحْمُود، الَّتِي وَجَدْنَا فِيهَا هَذَا النَّمَط مِنْ أَنْمَاط الحَذْف مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (هَذَا الرَّذَاذُ،):

"جِسْمِي الَّذِي قَطَّعُوهُ..

---

(١) ينظر: ابن جني، الخصائص، ج٢، ص١٤٠.

(٢) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج٢، ص٢٧٠– ٢٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَادَ ثَانِيَةً....

جِسْمِي...."[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

لِيُقَطِّعَهُمْ ← الأَصْلُ

تَطَابق

حَذَفَ الشَّاعِر فِي الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة السَّابِقَة جَمِيع عَنَاصِر الجُمْلَة الفِعْلِيَّة وَأَثْبَتَ فراغًا مَنْقُوطًا يحلّ مَحَلّ الجُمْلَة، وَالتَّقْدِير: (عَاد ثَانِيَة لِيَقْطَعَهُمْ)، وَالَّذِي دَلَّنَا عَلى هَذَا التَّقْدِير هُوَ التَّرْكِيب (قَطّعُوهُ). فَالشَّاعِرُ عَمَدَ إِلَى خَلْخَلَة قَدَاسَة قَوَاعِد اللُّغَة وَمُخَالَفَة مَنْظُومَاتها المِعْيَارِيّة، وَذَلِكَ بِحَذْف جُمْلَة كَامِلَة وَجَعْل النِّقَاطبَدِيلًا عَنْ الكَلَام المَحْذُوف مِن النَّصّ الشِّعْرِيّ، وَهِيَ بِمَثَابَة دَعْوَة صَرِيحَة مِنْ المُنْشِئ لتتمة البِنَى اللّسانيَة النَّاقِصَة.

وَمِنْ هَذَا النَّوْع أَيْضًا فِي شِعْر حيدر محمود مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (تَدَاعِيَاتٌ عبدونيّة):

"بَعْدَ ثَلَاثَة أَيَّام،

حَاوَلْتُ زِيَارَة ((مُونَاكُو))

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَوَجَدَت اسمي فِي قَائِمَة

((المَمْنُوعِينَ))

إنّا لِلهِ وإنّا...

(أَكْمِلْ.. يَا سَيِّد عبدونْ)!"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

إنّا لله وإنّا ... ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ← الأَصْلُ

تَطَابق

إنَّ الشَّاعِر عَدَلَ عَنْ الأَصَل وَهُوَ قَوْل: (إِلَيْه رَاجِعُونَ)، إِلَى حَذْف شبة الجُمْلَة مِنْ الأَسْطُر الشِّعْرِيَّة بَعْدَ كَلِمَة (إنّا)، وَالَّذِي دَلَّنَا عَلَى هَذَا الحَذْف هُوَ سِيَاق التَّرْجِيع لَدَى عَدَد كَبِير مِنْ المُسْلِمِينَ وَهُوَ قُولهُمْ: (إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، وَلَعَلّ السَّبَب الرَّئِيسِي الَّذِي اِسْتَدْعَى الشَّاعِر لِحَذْف الجُمْلَة هُوَ سَبَب دَلَالِي يَنْطَوِي عَلَى نَوْع مِنْ الهِجَاء والتّعريض بِسُكَّان المِنْطَقَة الرَّاقِيَة فِي عَمَّان منطقة عبدون، الَّتِي شَبَّهَهَا بِمَدِينَة (مُونَاكُو) الَّذِي لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا كِبَار الأَثْرِياء، وَسَبَب إِيقَاعِي حَتَّى لَا يَخْتَلّ وَزِن البَيْت.

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص٤١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَوَرَد حَذْف شبة الجُمْلَة فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ شِعْر حَيْدَر مَحْمُود، وَمِنه مَا جَاءَ فِي قَصِيدَة (اِعْتِذَارٌ لِلأَقْصَى):

"لَا تُصدقنا

إِذَا قُلْنَا: سَنَأْتِيكَ، لِنَفْدِيَكَ

فَلَنْ يَأْتِي.. أَحَدْ"[1]

جَاءَتْ الصِّيَاغَة اللَّفْظِيَّة فِي شَكْل تَخْطِيطَي عَلَى النَّحْوِ الآتي:

البِنْيَة السَّطْحِيَّة:

... ← حَذْف

عُدُول

البِنْيَة العَمِيقَة:

مِنّا ← الأَصْلُ

تَطَابق

فِي هَذَا النَّصّ نَجْد أَنَّ الشَّاعِر حَذَفَ شبة الجُمْلَة مِنه يُحدده سِيَاق الكَلَام، وَشبة الجُمْلَة المَحْذُوف في تقديرنا هو (مِنَّا)، وَالَّذِي دَلَّنَا عَلَى هَذَا الحَذْف هُوَ كَلَامه بِضَمير الجَمْع نَحْن (تُصدّقنا، سَنَأْتِيكَ، لِنَفْدِيَكَ)، وَلَعَل السَّبَب فِي هَذَا الحَذْف هُوَ رَغْبَة الشَّاعِر فِي تَحْقِيق نَوْع مِنْ الإِثَارَة الدَّلَالِيَّة، وَلولا هَذَا العُدُول الحذفي لِمَا اِسْتَطَاعَ الشَّاعِر أَنْ يلْفت الاِنْتِبَاه لِمَا يقول، ثمَّ إِنَّ فِي التَّرك (الحَذْف) باباً مشرعاً عَلَى كَثِير مِنْ التّوقّعات؛ حَيثُ لَنْ يَأتي أَحدٌ (مِنّا) أَوْ مِنْ (غَيرنا)

(١) محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، ص١٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِنَجدتكم، وَهُوَ أَيْضًا سَاعَدَ عَلَى اِسْتِقَامَة الكَلَام وَالقَافِيَة الشِّعْرِيَّة الَّتِي أَضْفَتْ عَلَى النَّصّ جَمَالًا وَرَوْعَة.

وَبِنَاء عَلَى مَا سبق يَتَبَيَّنُ مَدَى عِنَايَة الشَّاعِر بِاِسْتِخْدَام أُسْلُوب الحَذْف فِي التَّعْبِير، فَالقَصِيدَة الحَدِيثَة لَا تُؤثِّر بِمَضْمُونها فحسب، بَلْ تُؤَثِّرُ بِشَكْلها وَمَضْمُونها مَعًا، مِنْ حَيْث هِيَ بِنْيَة لَهَا وَظِيفَة فَنِّيَّة وَجَمَالِيَّة تَشْمل الفَائِدَة وَالمُتْعَة مَعًا، لِذَلِكَ فَإِنَّ الشِّعْر يَبْحَثُ عَنْ حَقِيقَته الخَاصَّة بِطَرِيقَته الخَاصَّة، لَا يَتَوَقَّف عِنْد حُدُود مُعَيَّنَة مِنْ العِلْم بَلْ يُحَاوِل أَنْ يَتَّسِعَ إِلَى أَقْصَى طَاقَاته وَخَارِج أُفُق التَّوَقُّعَات.

لِذَلِكَ اِسْتَخْدَمَ حَيْدَر مَحْمُود الحَذْف بِوَصفه عُدُول لُغَوِي تَرْكِيبِي فِي الجُمْلَة العَرَبِيَّة يُؤَثِّرُ بِهَا فِي البِنْيَة التَّرْكِيبِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّة، وَذِكْر الأَمْثِلَة السَّابِقَة تَدَلّ بِشَكْل وَاضِح عَلَى ظَاهِرَة العُدُول فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود مِنْ خِلَال هَذَا اللَّوْن مِن أَلْوَان البَلَاغَة، الَّذِي أَسْهَمَ فِي تَوْلِيد بَعْض الغُمُوض وَجَعْل الشِّعْر قَابِلًا لِلتَّأْوِيل بِمَا يَرَاه المُتلقي وَيَتَنَاسَب مَعَ السِّيَاق، الأَمْر الَّذِي كَانَ لَهُ الأَثَر فِي جَذْب اِنْتِبَاه القَارِئ وَتَوْلِيد شَحْنَة فِي ذِهْنه، مِمَّا حَقَّقَ تَفَاعُلًا بَيْنَ المُرْسِل وَالرِّسَالَة وَالمُسْتَقْبِل، وَنَأى بِالنص عَنْ المَلل وَالإِطْنَاب وَعَدَلَ بِهِ نَحْو المُتْعَة وَالإِيجَاز.

وَقَدْ كَانَ حَيْدَر مَحْمُود مِنْ الشُّعَرَاء الأُرْدُنِيينَ القَلَائل الَّذِينَ اِهْتَمُّوا بالمفردة اللُّغَوِيَّة وَبِالصِّيَاغَة وَالتَّرْكِيب اِهْتِمَامًا بَالِغًا؛ فَاللُّغَة رَصِينَة وَقَوِيَّة وَمُتَمَاسِكَة، تَنمّ عَنْ وَعْي ثَقَافِي وَفِكْرِي عَال بِأَهَمِّيَّة الحِفَاظ عَلَى هُوِيَّة هَذِه اللُّغَة فِي الشِّعْر، وَتَجْدُرُ الإِشَارَة إِلَى أَنَّ حَيْدَر مَحْمُود اِسْتَطَاعَ أَنْ يُجَارِي حَرَكَة التَّجْدِيد وَالحَدَاثَة فِي الوَطَن العَرَبِي، حَيْث اِسْتَخْدَمَ فِي كَثِير مِنْ الأَحْيَان أَنْمَاطًا لُغَوِيَّة مُخْتَلِفَة فِي نص شعري وَاحد، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ كَثِيرًا مِنْ قَصَائِده تَتَكَوَّنُ مِنْ مَزِيج لُغوي يَجْمَعُ بَيْنَ اللُّغَة الشِّعْرِيَّة العَامِّيَّة وَالفَصِيحَة وَالمَثَل والأهزوجة الشَّعبِيَّة وَالمُفْرَدَة السَّاخِرَة، وَهَذِهِ ظَاهِرَة لُغَوِيَّة بَارِزَة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَكَرَّرَتْ فِي شِعْرِه وَأدّى تَكْرارها إِلَى صِنَاعَة مُعْجَم شعْرِي خَاصّ بِهِ مَحْكُوم بِالأَلْفَة وَالبَسَاطَة فِي سِيَاقَاته وَأَنْسَاقه(١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ينظر: الزعبي، زياد، قراءات شعرية، ص١١.

الخَاتِمَة

لَقَدْ تَجَلى اِهْتِمَامنا فِي هَذَا البَحْث فِي شعر حَيْدَر مَحْمُود إلى الكَشْف عَنْ مَدى اِسْتِخْدَام الشَّاعِر اللُّغَة بِصُورَة مُغَايِرَة لِما هُو مَأْلُوف، أَي خَارِج عَنْ اللُّغَة النَّمَطِيَّة المَعْهُودَة، مِنْ خِلَال تَحْلِيل عَنَاصِر التَّرَاكِيب الأَصْلِيَّة وَدَلَالَة التَّرَاكِيب المعدولة، لِمَعْرِفة مَدَى إِسْهَام العُدُول اللُّغَوِي فِي تَمَيُّز أُسْلُوبه الشِّعْرِي عَنْ غَيْره مِنْ الأَسَالِيب، مِنْ خِلَال الكَشْف عَمَّا فِي لُغَته مِنْ مَظَاهِر لُغَوِيَّة، وَمَدَى قُدْرَتها عَلَى التَّعْبِير عَنْ مَكْنُونَات الشَّاعِر لِلقَارِئ، وَالكَشْف عَنْ مَدى دَوْرها فِي إِثْرَاء خِطَابه الشعري، لأن الإِنْسَان فِي اللُّغَة مُرْتَبِط بِالجَانِب الوَظِيفِي فِي أَي كَلِمَة، سَوَاء أَكَان فِي المُسْتَوَى النَّحْوِي أَو الصَّرْفِي أَو الدَّلَالِي أَو الأَسَالِيب اللُّغَوِيَّة.

ولَقَدْ سَعْيِنَا مِنْ خِلَال هَذِه الدِّرَاسَة إِلَى رَصد مُوَاطِن العُدُول اللُّغَوِيّ فِي شِعْر حَيْدَر مَحْمُود الَّذِي اِسْتَطَاعَ أَنْ يُوَاكِب مُتَطَلَّبَات الشِّعْر الحَدِيث، مِنْ خِلَال الكَثِير مِنْ الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة الأُسْلُوبِيَّة الَّتِي تَجَلَّتْ فِي شِعْره وَمِن أَهَمّها: التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير، وَالحَذْف، وَهَذِه العدولات لَمْ يَأْتِ الشَّاعِرُ بِهَا عَبَثًا، وَإِنَّمَا يَرْمِي مِنْ وَرَائها إِلَى التَّكْثِيف الدَّلَالِي وَالإِبْدَاع الفَنِّي الَّذِي يَتَمَتَّع بِهِ الشَّاعِر، وَمِنْ خِلَال تَتَبّع هَذِه المَظَاهِر نَصل إِلَى أَهَمّ النِّقَاطالَّتِي تُوضِح العُدُول، وَالنَّتَائِج الَّتِي خلصت إِلَيْهَا الدِّرَاسَة، وَهِيَ:

١. تَعَدُّد الآرَاء فِي تَحْدِيد طَبِيعَة المِعْيَار الَّذِي يَحدث عَنْه العُدُول، فَهُو يفترض مُسْبَقًا وُجُود مِعْيَار لِقِيَاس مَدَى العُدُول.

٢. لَيْس كُل خُرُوج عَنْ القَاعِدَة يُعْتَبَرُ عُدُولًا مَا لَمْ يُحَقق وَظِيفَة أُسْلُوبِيَّة جَمَالِيَّة.

٣. تَدل ظَاهِرَة التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير عَلَى مُرُونة اللُّغَة العَرَبِيَّة وَاِتِّسَاعها، وَتبين دَوْرها فِي إِبْرَاز المَعَانِي المُخْتَلِفَة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٤. تَقْدِيم لَفْظ أَوْ تَأْخِيره جَاءَ مَقْصُودًا مِنْ المُبْدِع لِغَرَض بَلَاغِي مِنْ أَجْل التَّأْثِير فِي المُتَلَقَّي وَتَنْبِيهه إِلَى أَمْر مَا.

٥. إِنَّ حَذف بَعْض العَنَاصِر اللُّغَوِيَّة فِي الجُمْلَة الاِسْمِيَّة أَو الفِعْلِيَّة قَدْ أَسْهَمَ فِي تَوْلِيد بَعْض الغُمُوض، وَإِدْخَال المُتَلَقَّي فِي دَوَامَة مِنْ البَحْث وَالتَّحْلِيل وُصُولًا إِلَى إِجَابَات عَنْ أَسْئِلَته الَّتِي تشغل فِكْره.

٦. مِنْ الظَّوَاهِر الَّتِي شَدَّتْ البَاحِثَة إِثْنَاء الدِّرَاسَة، دُخُول يَاء النِّدَاء عَلَى الفِعْل، وَقَدْ خرج عَلَى أَسَاس تَقْدِير المُنَادَى.

٧. إِنَّ شِعر حَيْدَر مَحْمُود شِعر رَاقٍ، زَاخِر بِالقَضَايَا اللُّغَوِيَّة الأُسْلُوبِيَّة، أوصي البَاحِثِينَ بِدِرَاسَة هَذِه القَضَايَا الَّتِي تَكْشِف عَنْ إِبْدَاع الشَّاعِر وَسعة ثَقَافَته.

٨. قَدْ أدرك حَيْدَر مَحْمُود أَهَمِّيَّة التَّغْيِير فِي القَصِيدَة مِنْ خِلَال الخُرُوج عَنْ المَأْلُوف لِيَتَخَلَّص مِنْ الرَّتَابَة وَالأُسْلُوب النَّمَطِيّ وَالاِنْغِلَاق المُوسِيقِيّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- **الكتب والرسائل والمجلات**

١. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوى طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢.

٢. أدونيس، علي أحمد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت– لبنان، ١٩٧٩م، ط٣.

٣. أنيس، إبراهيم، تطور الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٨٤م، ط٥.

٤. الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن الكريم، تح: أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر، مصر، ١٩٩٤م.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٩٩٣م.

٦. بلغيث، عبد الرزاق، الصورة الشعرية عند الشاعر عز الدين ميهوبي دراسة أسلوبية، جامعة بوزربعة، ٢٠١٠م.

٧. بوفتاح، عبد الحليم، نحو النَّصّ من الجذور التراثية إلى الآفاق الأسلوبية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع١٠، ٢٠١٠.

٨. تامين، جويل، مولينو، جان، المدخل إلى التحليل الألسني للشعر، مجلة الموقف الأدبي (بحث)، ع١٤١– ١٤٣، ١٩٩٧م.

٩. التركي، إبراهيم بن منظور، العدول في البِنْيَة التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة أم القرى، ع٤٠، ١٤٢٨هـ.

١٠. تقريشة، فازية، العدول بين النحو والدراسات الأسلوبية الآليات والغايات، جامعة تيزي وزو، الجزائر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١١. الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ط٧.

١٢. الجبار، مدحت سعد، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، طرابلس- ليبيا، ١٩٨٤م.

١٣. جرادات، عمار، ظاهرة العدول في شعر عنترة دراسة أسلوبية، إشراف: شريف عودة، جامعة النجاح، نابلس- فلسطين، ٢٠١٥م.

١٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، دار المدني، مصر، ١٩٩٢م، ط٣.

١٥. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٥م.

١٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠١م، ط١.

١٧. حسان، تمام، الأصول، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٨. حسان، تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

١٩. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٩م، ط١٧.

٢٠. الحمادي، جلال عبد الله، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، إشراف: عباس السوسرة، جامعة تعز، اليمن، ٢٠٠٧م.

٢١. حمد، عبد الله خضر، العدول في الجملة القرآنية، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

٢٢. الحموز، عبد الفتاح، الحذف في المثل العربي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م، ط١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٣. الخرشة، أحمد غالب، أسلوبيبة الانزياح في النَّصّ القرآني، إشراف: زهير المنصور، جامعة مؤتة، الكرك- الأردن، ٢٠٠٨م.

٢٤. درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م.

٢٥. الرازي، فخر الدين محمد، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة- مصر.

٢٦. راضي، عبد الحكيم، نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ط١.

٢٧. ربابعة، موسى، الانحراف مصطلحا نقديا، مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٠،ع٤، ١٩٩٥م.

٢٨. ربابعة، موسى، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي، الكويت، ٢٠٠٣م، ط١.

٢٩. ربابعة، موسى، التكرار في الشعر الجاهلي، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٨م.

٣٠. الربيعي، حامد صالح، مقاييس البلاغية بين الأدباء والعلماء، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م.

٣١. الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، دراسة في الشعر العربي الحديث، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان- الأردن، ٢٠٠١م، ط١.

٣٢. الرواشدة، سامح، قصيدة إسماعيل لأدونيس (صور من الانزياح التركيبي وجمالياته)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج٣٠، ع٣.

٣٣. الزجاجي، إعراب القرآن الكريم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ط٢.

٣٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٥. الزعبي، زياد، قراءات شعرية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠١٧م.

٣٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٧. الزنّاد، الأزهر، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١.

٣٨. الزيود، عبد الباسط محمد، من دلالات الانزياح التركيبي وجمالياته في قصيدة الصقر لأدونيس، مجلة جامعة دمشق، مج٢٣، ع١، ٢٠٠٧م.

٣٩. ابن السراج، محمد سهل، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ط١.

٤٠. السعدني، مصطفى، العدول "أسلوب تراثي في نقد الشعر"، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ط٢.

٤٢. سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط١، ١٩٨٨م.

٤٣. سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ط٣.

٤٤. السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت.

٤٥. السيد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٩٧م، ط١.

٤٦. ابن سينا، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٧. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٤م.

٤٨. شكال، سامية، الانزياح التركيبي والدلالي في ديوان "محمد جربوعة" دراسة لنماذج مختارة، إشراف: عبد القادر رحيم، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥- ٢٠١٦م.

٤٩. العاكوب، عيسى علي، موسيقى الشعر العربي، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ٢٠٠٠م، ط٢.

٥٠. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، ٢٠٠٥م، ط١٠.

٥١. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٤م، ط١.

٥٢. أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسر للنشر والتوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ط١.

٥٣. العرود، زهير محمد، الحذف في شعر أبي الطيب المتنبي، إشراف: سلمان القضاة، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ٢٠٠٥م.

٥٤. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٥٥. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٦. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م، ط٥.

٥٧. عمر، محمود عبد المجيد، الانزياح في شعر نزار قباني- الأعمال الشعرية الكاملة الأولى أنموذجا، إشراف: جليل حسن محمد، جامعة صلاح الدين، العراق، ٢٠١٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٨. العوضي، زكي علي سالم، الحذف في سيفيات المتنبي تركيبا ودلالة، إشراف: سمير استيتية، جامعة اليرموك، إربد– الأردن، ٢٠٠٤م.

٥٩. عياد، شكري محمد، اللغة والإبداع "مبادئ علم الأسلوب الأدبي"، انترناشونال برس، القاهرة، ١٩٨٨م، ط١.

٦٠. عيد، رجاء، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

٦١. عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ط٢.

٦٢. عيد، رجاء، لغة الشعر، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦٣. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقة اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضح حواشيه: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٦٤. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٦٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار العلوم، جامعة القاهرة.

٦٦. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النَّصّ، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.

٦٧. فوغالي، وهيبه، الانزياح في شعر سميح القاسم "قصيدة عجائب قانا الجديدة" أنموذجاً – دراسة أسلوبية– ، إشراف: محمد الهادي، الجزائر.

٦٨. الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم، ٢٠٠٥م، ط٨.

٦٩. القرطاجي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ط٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧٠. القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، وضّح حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧١. القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم القرآن، تح: لجنة جامعة الأزهر، أوفيست مكتبة المثنى، بغداد.

٧٢. القط، عبد القادر، قضية المصطلح في مناهج النقد الأدبي الحديث، المجلة العربية للعلوم الإنسانية–جامعة الكويت، ١٩٩٤م.

٧٣. كوهن، جان، بِنْيَة اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ط١.

٧٤. كوين، جون، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.

٧٥. كوين، جون، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ط٤.

٧٦. المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م، ط٢.

٧٧. المبرد، أبو العباس محمد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م، ط٣.

٧٨. مبروك، محمد مختار، العدول بين القدماء والمحدثين دراسة نقدية، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٩. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

٨٠. محفوظ، هشام، الخطاب الشعري في الستينات – دراسة أسلوبية وتحليلية، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨١. محمد، أحمد علي، الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني، مجلة جامعة دمشق، مج١٩، ع٣- ٤، ٢٠٠٣م.

٨٢. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.

٨٣. محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، بيت الشعر الأردني، عمان- الأردن، ٢٠٠١م، ط١.

٨٤. محمود، حيدر، ديوان المنازلة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١م، ط٢.

٨٥. محمود، حيدر، عباءات الفرح الأخضر قصائد في آل البيت، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٧م.

٨٦. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط٢.

٨٧. مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ط٣.

٨٨. معلوف، لويس، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩.

٨٩. مغني، خيرة، سعاد، نصيرة، جمالية الانزياح في شعر الأخضر فلوس "عراجين الحنين" أنموذجاً، إشراف: عبد القادر قدار، جامعة الجيلاني، الجزائر، ٢٠١٦م.

٩٠. منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٩١. ناصر ساهر حسين، محمد، إبراهيم صبر، القيم الجمالية للتقديم والتأخير في شعر أبي الطيب المتنبي دراسة في أسباب تَقْدِيم المفعول به على الفاعل، مجلة آداب ذي قار، مج١، ع٢، كانون الأول، ٢٠١٠م.

٩٢. ناصف، مصطفى، قراءة في دلائل الإعجاز، فصول، القاهرة، مج١، ع٣، ١٩٨١م.

٩٣. نحلة، محمود، أحمد، في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ط١.

٩٤. ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، مغني اللبيب، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دمشق، ١٩٦٤م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٩٥. هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م.

٩٦. هنداوي، عبد الحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ط١.

٩٧. ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م، ط١.

٩٨. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح ، في الأدب والنقد، عالم الفكر، الكويت، ع٣، ١٩٩٧م.

٩٩. اليافي، نعيم، أطياف الوجه الواحد- دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م.

١٠٠. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١٠١. اليوسفي، محمد لطفي، في بِنْيَة الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المواقع الالكترونية:

١. www.almothaqaf.com/readings/881417-2014-06-25-11-18-33

ABSTRACT

Al-rababah, Shefa'a, Mohammad, The linguistic deviation in the poetry of Haider Mahmoud, Master Thesis, Yarmouk University, 2018, Supervisor: A. D. Yousef Abu Aludos.

thepresent study aims to understand structure aspects and linguistic phenomena in Haider Mahmoud poetry; to explore the artistic phenomena and beauties value in his portry; including word shifting, deletion of words, pronoun shifting and repetition.

Haider Mahmoud poetry was one of the modern poets, who had a main role in the modernization in the poetry. Also he used good poetry tools to eliminate of the traditional form of poems in the old poetry; so it had to be noted for his ingenuity and artistic creativity.

© Arabic Digital Library Yarmouk University